

٥

أضواء على البهائية

الرّد على البهائيّين

فى
ضوء المنهج اللغوى

د . محمد عبد المنعم خفاجى

عميد كلية اللغة العربية الأسبق

جامعة الأزهر

د . عبد العزيز شرف

أستاذ الإعلام اللغوى الزائر

بجامعة الأزهر

المرحوم الدكتور/ محمد فتحي أحمد محمد سيد
جمهورية مصر العربية

إهــــــــــداء٢٠٠٩

المرحوم الدكتور/ محمد فتحي أحمد محمد سيد
جمهورية مصر العربية

٥

الرد على البهائيين

في ضوء المنهج اللغوي

تأليف

د . محمد عبد المنعم خفاجي

عميد كلية اللغة العربية الأسبق

جامعة الأزهر

د . عبد العزيز شرف

أستاذ الإعلام اللغوى الزائر

بجامعة الأزهر

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــديم

الرد على البهائيين

هو هذا الكتاب الذى نضعه بين يديك أيها القارئ العزيز الذى يحمل بين جوانحه قلبا يؤمن بالله ، ويقر بالرسالات ، ويوقن بأن رسالة بنى الإسلام هى خاتمة الرسالات وآخر النبوات .

هو هذه الصحائف التى كتبناها ردا على دعوات البهائيين الزائفة ، ومنطقهم الإلحادى ، وادعاءاتهم الكاذبة ، وأساطيرهم المفتراة ، وأضاليلهم المزعومة .

إن البهائيين يخادعون العالم الإسلامى ، ويخدعون شباب المسلمين بتلفيقاتهم التى يلبسونها ثوب الحقيقة الزائف ، وما هى من الحقيقة بشىء ، والتى يملئونها بالرمز والإبهام والإلغاز والغموض ، مدَّعين أنهم دعاة سلام وما هم من دعوى السلام بسبيل .

إن البهائيين بغرورهم الكبير ، وبريائهم الكثير ، وبما سجله زعماؤهم فى كتبهم التى يزعمون أنها مقدسة ؛ يضللون أنفسهم ويضللون الناس ، وما ظنك بمذهب يدعى مزيفه الأكبر أنه إلـٰه ، وأنه صاحب رسالة ، وأنه لا أحد يمكن أن يضاهيه .. ثم هو صاحب المؤامرة الكبرى على ولى نعمته الباب ، وعلى زملائه فى البابية الضالة التى اتخذها نموذجا رفيعا له .

هذا هو « **الرد على البهائيين** .. »

يحمل إليك أيها القارئ العزيز أفكارا جديدة ، ومنطقا صادقا ، ومضامين عادلة .. جديرة بالقراءة والبحث ،

المؤلفان

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول

الموضوع الصفحة

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

تصدير

لماذا هذا الكتاب ؟

فى فتنة الباب الميرزا على محمد ، وأثناء اعتقاله فى تبريز وقبل إعدامه جمع أمير أذربيجان العلماء وذهب بهم إلى تبريز ، وجىء بالباب من السجن إلى مجلس العلماء..

وسأله الأمير فى هذا المجلس عن الدليل والبرهان على دعواه ، أى عن المعجزة التى تثبت أنه لا يتكلم إلا بالوحى والإلهام ..

فرد الباب الشيرازى : إن معجزته هو قوته البيانية(١) ..

فطلب منه أن يرتجل خطبة ويصف فيها المجلس وأنواره المتلألئة ، تعادل سورة النور ، فارتجل خطبة وصف فيها القصر وأنواره وزينته وجماله ..

ودون اليزدى كل ما تلاه فى هذه الخطبة من الآيات ، وسأله الأمير : هل نزلت عليك هذه الآيات بطريق الوحى ؟ قال : نعم ..

فقال الأمير : إن الوحى لا يجىء من خاطر الموحى إليه ..

فرد الباب عليه : نعم هذا صحيح .

فطلب منه أن يعيد — أى الباب الشيرازى — الخطبة مرة ثانية ، فأعادها مغايرة للأولى .. فلما سأله عن ذلك ، قال : نزلت علىّ فى هذه المرة على هذا النمط .. (٢)

---

(١) ٢٥٠ مطالع الأنوار ، ٩٦ البابية لإحسان إلهى ظهير .

(٢) ٢٣٧ الكواكب ، الطبعة الفارسية .

وإذا كانت معجزته هى قوته البيانية ، فإننا نقف هنا فى هذا الكتاب لبحث قضية قوة البيان عند الباب .. الذى ترك كتابا بعنوان : البيان ، وقال عنه البهاء : إنه أم الكتاب[١] ..

ومن أجل ذلك كانت هذه المناقشة اللغوية للبهائية والبابية ..

---

(١) ص ١٥٤ من لوح أحمد للمازندرانى — طبع باكستان فى الألواح الستة .

الفصل الأول

اللغة والتفكير

المعجزة البيانية المزعومة
فى كتب البهائيين والرد عليها

الحبسة اللغوية فى كتب البهائيين

أولا ـــ كتاب الأقدس

وتأسيسا على ما تقدم ننطلق هنا من اهتمام العلماء بدراسة الوظيفة اللغوية من الناحية السيكلوجية مشيرين إلى أن الجانب الأساسى فى اللغة هو الوظيفة الرمزية ، أى القدرة على إدراك الرموز واستخدامها ، وإبداع رموز جديدة للتعبير عن مجرى الفكر الذى لا يمكن تحديده بحدود مادية محضة . ومن أهم الدراسات السيكلوجية لأمراض اللغة دراسة العالم هنرى هد .

فقد نسبها إلى أربعة أقسام :

(أ) الحبسة اللفظية :

حيث يصعب استدعاء الكلمات سواء فى القول أو فى الكتابة ، ويكون تركيب اللفظ مختلا .

وما كتبه البهاء من رسائل يمثل هذا المصطلح الخاص بالحبسة اللفظية . فكتابة الأقدس الذى هو أهم ما كتبه وألفه وظنه ناسخا لجميع الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم ، والذى طبعه السيد الحسنى ملحقا بكتابه « البابيون والبهائيون » فى ٢٢ صفحة بالحرف الكبير ، والرسالة السلطانية فى ١٤ صفحة وما كتبه من سور وألواح مثل « لوح أحمد » و « لوح على » و « سورة الأمين » و « لوح طرازات » و « بشارات » و « تجليات » مادة صالحة لمن يريد دراسة الحبسة اللفظية ، حيث يتضح على الفور ما كان يعانيه البهاء فى استدعاء الكلمات ، إلى جانب التركيب اللفظى المختل .

(ب) الحبسة الاسمية Normal aphasia

حيث يسيء المريض استخدام الأسماء ويعجز عن فهم معنى الكلمات وغيرها من الرموز .. وفى كتب البهاء نجد هذه الحبسة الاسمية فى استعماله للألفاظ دالا بها على معانى لا يقصدها ، ومطالب غير مفهومة .. على نحو ما نجد فى أهم مؤلفاته كتابه « الإيقان » الذى ألفه أثناء إقامته فى بغداد تأييدا للشيرازى ومزاعمه ، و « ألواح الملوك » الذى شرع فى كتابته فى أدرنه وأتمه فى عكا ، و « الرسالة السلطانية » فى عكا هو « الأقدس » فى عكا أيضا .. وكذلك ألواح الملوك وسورة الهيكل ولوح ابن ذئب وغيرها من الكتب والرسائل التى تتضح فيها الحبسة اللفظية والاسمية والنحوية والدلالية .

(جـ) الحبسة النحوية Syntactic aphasia

حيث يعجز المريض عن ترتيب الكلمات حسب نغمة الجملة ، وقواعد النحو ..

(د) الحبسة الدلالية .

هذا والأقدس عندهم أعظم كتاب فى تاريخ البشرية كلها ، وهو الناسخ لجميع الكتب السماوية .. ويبدأ الكتاب بقول البهاء :

إن أول ما كتب الله على العباد عرفان مشرق
وحيه ، ومطلع أمره ، الذى كان مقام نفسه فى عالم
الأمر والخلق من فاز به فقد فاز بكل الخير ، والذى منع
إنه من أهل الضلال ولو يأتى بكل الأعمال .. إلخ .

افتتاحيات الكتب دائما تدل على بلاغتها ، فهى استهلال لها ، وتصوير لانتماءاتها ، ومظهر لبلاغاتها ..

وهنا ماذا فى هذه الافتتاحية ؟

هنا فقرتان : الأولى منهما يحوطها الغموض من كل جانب .. ماذا يريد أن يقول ؟ إنه لا مضمون ولا فكرة ولا معنى بدون صياغة واضحة قوية بليغة تؤديها ..

البهائيون دائما يلجأون إلى الغموض والرمز ، فتجيء لغتهم ضبابية الصياغة ، غائمة الأفكار ، ومن هنا ادعوا التأويل ، فرارا من الوضوح ، وادعوا فلسفة التأويل للخروج من دلالة النص .. يجعل معرفة الخير مقرونة بعمله ..

الأسلوب هنا غاية فى الزيف ، فى الباطل ، فى التضليل ، فى الضلال .. ما جدوى المعرفة بلا عمل ؟ ..

ولماذا جعل صاحب الأقدس المعرفة وحدها سببا فى الفوز بالخير ؟ .. ذلك هو قصور العقل ، وضلال التفكير ، والبعد عن النهج السليم .. إنه الزيف الذى لا يحتمل ، إنه المعنى الناقص الذى لا يؤدى إلا إلى الباطل ..

أما قوله : « والذى منع إنه من أهل الضلال ولو يأتى بكل الأعمال » ..

الذى اسم موصول يحتاج إلى صلة وهى هذا الفعل « منع » ، ويحتاج إلى عائد .. وليس العائد موجودا فى الكلام .. إن التركيب ناقص .. الجملة ناقصة .. لا بلاغة هنا للأسلوب .. إنه أسلوب لم يستوف خصائص التركيب اللغوى ..

والجملة الناقصة — فعل بلا فاعل أو فاعل ولا فعل ، مبتدأ ولا خبر ، أو خبر بلا مبتدأ ، موصول ولا عائد .. إلخ ..

والجملة الناقصة هى اضطراب لغوى فى التعبير ، وهى دليل اضطراب عقلى فى التفكير ..

صحة الأسلوب هنا : الذى منع منه أى من العرفان إنه من أهل الضلال ..

وهذا أسلوب ردىء غاية الرداءة ، سقيم غاية السقم ، أين البلاغة والفصاحة والبيان فيه ؟ . الذى منع من العرفان إنه من أهل الضلال ، الذى منع

المعرفة بأنه من أهل الضلال .. الجهل هو الضلال إذن .. طيب حسن .. لنقبل ذلك . ولكن خبرنى بربك عن هذا السجع الردىء .. إنه من أهل الضلال ولو يأتى بكل الأعمال .. ما أقبحه سجعا .. احتكم بربك إلى ذوقك ، هل تجد فى هذا الكلام بلاغة ؟ .. هل يهزك هذا الأسلوب ؟

اللهم لا .. إنه العى الأكبر ، والعجز الفاضح عن الإتيان بأسلوب بليغ ..

ولننتقل إلى الفقرة الثانية التى تقول : « إذا فزتم بهذا المقام الأسنى » إلخ

أى إذا فزتم بالمعرفة ، بهذا المقام العظيم ينبغى لكل نفس أن يتبع .. إلخ .. أو إذا فزتم بهذا الخير ..

وعلى الأول : إذا فزتم بهذا المقام الأسنى ، الذى هو المعرفة ، ينبغى اتباع ما أمر به من لدى المقصود ..

وصحة الكلام : فينبغى .. لأنه جواب إذا ، والجواب يقتضى دخول الفاء عليه .. وقوله من لدى المقصود ، أى منى ، وهو تعبير لغوى لا معنى له ..

أما إذا كان تأويل الكلام ، إذا فزتم بهذا الخير ينبغى .. كان الكلام لا مضمون له لأنه يلغى الاتباع الذى يريده إذا لم يفز بهذا الخير الذى هو المعرفة .. كما نقول إذا كافأك رئيسك أطعه .. ومعنى ذلك أنه إذا لم يكافئك لا تكون ملزما بطاعته .. أرأيت هذا القصور فى أداء المعنى ، وهذا الإخلال بمضمون الكلام .

وقوله « لدى المقصود » يريد: لدى نفسى وهو تعبير عامى خاطئ قاصر لا يحمل بلاغة ولا فصاحة .

« لأنهما معا لا يقبل أحدهما دون الآخر » ..

أى لأن المعرفة والاتباع معا .. والأسلوب هنا عادى جدا ، عامى جدا .. لا بلاغة ولا فصاحة فيه ..

وقوله : هذا ما حكم به مطلع الإلهام .. مطلع الإلهام يريد نفسه ، أى يريد البهاء نفسه .. ومطلع الإلهام كناية عن نفسه .. وهو كلام تافه ..

ما معنى أنه مطلع الإلهام .. إنه الرمز والغموض مما ذكرناه وعيناه وازدريناه .. وفيما يلى عدد من الجداول التى تكشف نماذج من الأخطاء اللغوية فى الكتب البهائية :

الأخطاء فى الفقرة الأولى

رقم الجملة	الأخطاء فى النص البهائى	الصواب والملاحظات
١	« **والذى** منع أنه من أهل **الضلال** ولو يأتى **بكل الأعمال** » . (الأقدس)	(١) الصلة بلا موصول فكلمة (الذى) وهى اسم موصول ليست له هنا صلة ، وهذا خطأ نحوى واضح . (٢) صحة الأسلوب هنا أن يقول « والذى منع منه أى من العرفان إنه من أهل الضلال » . (٣) إن السجع هنا سجع ردىء بلاغةً وتركيبا .
٢	« إذا فزتم بهذا المقام الأسنى ينبغى لكل نفس أن يتبع » ... الخ . (الأقدس)	هنا خطأ واضح ذلك أنه لم يقرن جواب الشرط بالفاء ، والصواب أن يقول « فينبغى » .
٣	من لدى المقصود	يقصد (أى منى) ، وهو تعبير لا معنى له .
٤	هذا ما حكم به مطلع الإلهام .	يريد نفسه (أى البهاء) مطلع الإلهام فمطلع الإلهام كناية عن نفسه فى السياق وهى كناية رديئة لا تحمل أى مضمون ولا أية دلالة . ففى هذه الكناية الغموض والإبهام الذى لا يدل على معنى .

الأخطاء فى الفقرة الثانية

رقم الجملة	الأخطاء فى النص البهائى	الصواب والملاحظات
١	« الذين أوتوا بصائر من الله يرون حدود الله السبب الأعظم **لنظم العالم** »	**نظم** إذا كانت مثل سفن فلا تحمل دلالة على اتحاد النظام فى العالم ، وإذا كانت على وزن « ليل » « فعل » فما معنى « النظم » وهو يريد « النظام » . لو كانت عربية فصيحة لقال : « لنظام العالم » .
٢	« والذى غفل أنه همج رعاع »	التركيب هنا ناقص ولا يؤدى إلى الوضوح فى التعبير .. والصواب أن يقول : « والذى غفل عن ذلك فإنه من الهمج الرعاع » .

الأخطاء فى الفقرة الثالثة (من الأقدس)

رقم الجملة	الأخطاء فى النص البهائى	الصواب والملاحظات
١	« إنا أمرناكم حدودات النفس »	لماذا جمع جمع مؤنث مع أنه جمع تكسير ؟ هذا خطأ فى العربية التى لا تقبل أن تكون الكلمة جمعا وهى فى الأصل جمع أى « حدود » ؟! ثم ما هى « حدودات النفس » ؟! الإجابة : هى أخطاء فى اللغة والتعبير .

الأخطاء فى الفقرة الرابعة (من الأقدس)

رقم الجملة	الأخطاء فى النص البهائى	الصواب والملاحظات
١	ماجت بحور الحكمة والبيان بما هاجت نسمة الرحمن	« ماجت بحور الحكمة » **استعارة** رديئة . و « هاجت نسمة الرحمن » **استعارة** أردأ . فما معنى النسمة هنا . وكيف ينسب فعل لله إلى الهياج ؟! كلمة « بما » خطأ فى الأسلوب ، ويريد بسبب أن نسمة الرحمن قد « هاجت » وكان الأولى أن يقول « لهياج » .

الأخطاء فى الفقرة الخامسة (من الأقدس)

رقم الجملة	الأخطاء فى النص البهائى	الصواب والملاحظات
١	«نكثوا عهد الله فى أوامره»	الصواب : وأوامره .
٢	« أولئك من أهل الضلال »	الصواب : فأولئك . لتربط بين الجملتين .

الأخطاء فى الفقرة السادسة (من الأقدس)

رقم الجملة	الأخطاء فى النص البهائى	الصواب والملاحظات
٦	بما ملأ الأرض أكلوا	الصواب : مما ملأ الأرض أكلوا .
	سرج عظمتى	سرج العظمة تعبير سخيف واستعارة غريبة .
	مفاتيح رحمتى لبريتى	نزل نفسه منزلة الإلـه المعبود ، تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا .

الأخطاء فى الفقرة السابعة (من الأقدس)

رقم الجملة	الأخطاء فى النص البهائى	الصواب والملاحظات
٧	حلاوة البيان	استعارة رديئة : الأولى : سحر البيان
	ثم مشيئة الرحمن	استعارة مكنية رديئة
	لينفق ما عنده	الصحيح : لينفق
	أفق العناية والألطاف	أفق العناية : استعارة رديئة وكذلك : أفق الألطاف .

أرجو أن تعذرنى أيها القارئ .. أنا اختصرت وتناولت بعض كلام الأقدس ، لا كل كلامه .. لأن ذلك أمره يطول ، وشرحه غير قليل .. والبلاغة فى الإيجاز ، فَلأُوجِز إذَنْ لأن الإيجاز مطلوب ..

ويلاحظ أن السمة الغالبة على كلام الأقدس هى الضعف والعامية والابتذال ، والخطأ فى تركيب الأسلوب ، والقصور فى أداء المعنى المطلوب كل القصور ..

إن الذين أوتوا بصائر من الله يرون حدود الله السبب الأعظم لنظم العالم وحفظ الأمم .. والذى غفل إنه من همج رعاع ..

نظم العالم : الصواب : نظام العالم .. والذى غفل إنه من همج رعاع عائد الموصول غير موجود فى الكلام .. والصواب : والذى غفل عن ذلك فإنه من همج رعاع .. والبلاغة تقتضى أن يقول : من الهمج الرعاع ..

وما أكثر أخطاء أسلوب « الأقدس » النحوية واللغوية ..

إنا أمرناكم حدودات النفس والهوى لا ما رقم من
القلم الأعلى إنه لروح الحيوان لمن فى الإمكان

لفظة حدودات بجمع التأنيث خطأ .. حدود جائزة ، حدودات خطأ .. حدود جمع حد .. وهو جمع تكسير فما حاجته إذًا إلى أن يجمع بعد ذلك جمع تأنيث .

وما معنى حدودات النفس والهوى — كلام لا معنى له ..

وما معنى قوله ما رقم من القلم الأعلى ؟ هل ما كتبه القلم الأعلى أى الله عز وجل غير واجب الاتباع ؟ ..

وقوله : « إنه لروح الحيوان لمن فى الإمكان » كلام لا معنى له ، ولا بلاغة فيه ..

وكل ذلك خطأ فى اللغة والتعبير ..

قد ماجت بحور الحكمة والبيان ، بما هاجت
نسمة الرحمٰن .. اغتنموا يا أولى الألباب ..

ماجت بحور الحكمة .. استعارة رديئة ، ومثلها هاجت نسمة الرحمن ولقد رأينا مفتتح « الأقدس » وأساليبه الرديئة ، وأخطاءه العجيبة ، وصياغته العامية التى لا تصدر إلا عن إنسان غبى مصاب بالحبسة اللغوية والمعنوية .

ماجت بحور الحكمة .. لا .. ثم لا .. ثم لا ..

ماجت بحور البيان .. أين هو البيان ؟ اللهم لا حكمة ولا بيان .. وما هو إلا العى والبهتان ..

النص الخطأ :

إن الذين نكثوا عهد الله فى أوامره ..
أولٰئك من أهل الضلال ..

الصواب هنا أن يقول : وأوامره ، بدلا من « فى أوامره »
والصواب : أن يقول فأولٰئك بدلا من أولٰئك بدون الفاء ..
النص الخطأ : بما ملأ الأرض أكلوا إن أوامرى سرج عنايتى بين عبادى ومفاتيح رحمتى لبريتى ..

هذا هو الكفر والضلال والإثم والبهتان ..
خبرنى بربك عن معنى : « أوامرى سرج عنايتى »
وعن معنى « بين عبادى »
أليس ذلك ادعاء للألوهية وتزييفا للحقائق ، وبهتانا عظيما ، وافتراء على الله ورسوله ؟ ..

لو يجد أحد حلاوة البيان الذى ظهر من فم مشيئة الرحمٰن لينفق ما عنده ولو يكون خزائن الأرض كلها ، ليثبت أمرا من أوامره المشرقة من أفق العناية والألطاف .

لا نجد وصفا من الأوصاف نقوله عن هذا الكلام ، إلا أن نقول عنه إنه كلام العامة ، أو إنه من كلام جاهل باللغة .. أو إنه رجل مغرور .. انظر إلى كلامه :

فم مشيئة الرحمن .. وفم المشيئة لا يقوله عاقل ولو يكون خزائن الأرض كلها .. كلام لا معنى له ولا صلة له بما قبله وبما بعده من الكلام ، اللهم إلا إذا كان يريد لينفق ما عنده ولو كان ما ينفقه هو خزائن الأرض كلها ، إن لفظا يكون قلب الكلام إلى أسلوب عامى لا صحة له بين أساليب البلاغة ؛ والمبالغة فى خزائن الأرض كلها مبالغة العامة من الناس لا مبالغة العقلاء من البلغاء الفصحاء .

وما معنى لينفق ما عنده ؟ ما صلة ذلك بالكلام قبله ؟ أى معنى يريد أن

يقول ، أو أى غرض يريد أن يحدثنا به ؟ وهى بفتح اللام خطأ ، والصحيح : لأنفق ما عنده ، ويكسر اللام بجعل الجملة ناقصة لا تؤدى معنى .

وقوله « ليثبت أمرا من أوامره المشرقة من أفق العناية والألطاف » ماذا تفهم منه أيها القارئ أو السامع ؟ ليس لهذا الكلام من وصف إلا أن نصفه بأنه كلام لا يدل على شيء . وأفق العناية استعارة رديئة .

أى بلاغة فى هذا الكلام كله من كلام الأقدس ، الذى وصفوه بالمعجزة ووصفوه بالبلاغة الخارقة الفائقة ، ووصفوه بالإعجاز ؟

إننا نقرأ كلاما لا يدل على ذوق عربى ، ولا على موهبة ، ولا على فصاحة ، ولا على صحة أسلوب ، وسلامة لسان ، ولا على شيء من جمال البيان ..

والله لو وقفنا عند كل كلمة من كلمات الأقدس فلن نجد فيها أثرا لبلاغة ، ولا صورة لفصاحة ، ولا طرفا من بيانه .

قل من خدودى يمر عرف قميصى ، وبها تنسب
أعلام النصر على القنن والأتلال .

العرف : الرائحة الطيبة ، عرف قميصه ليكن ما يكون ، وليتصور كما يريد أن يتصور ، ولكن ما معنى : من حدودى يمر عرف قميصى ؟

أيريد : أمن جانبى يسرى عرف قميصى ؟ .. قد يكون ، ولكن ما صلة ذلك بالمعانى التى يتحدث فيها ، وبالمضامين التى يريد أن يؤديها لنا ؟

طيب .. قوله « وبها » ماذا يريد من « وبها » ؟ هل يريد من « وبها » بالحدود .. وماذا يكون المعنى عندئذ ؟ .. ثم جمع التل على الأتلال خطأ ، والمسموع : التلال ..

وأقول لك أيها القارىء العزيز : حاشا لله ومعاذ الله أن يوصف مثل هذا الكلام بالبلاغة ..

قد تكلم لسان قدرتى فى جبروت عظمتى مخاطبا
لبريتى أن اعملوا حدودى حبا لجمالى .

ياللغرور الكاذب ، وياللعظمة الفارغة ! .. لسان قدرتى — جبروت عظمتى ، مخاطبا لبريّتى ، اعملوا حدودى .. حبا لجمالى ..

لعن الله هذا الجمال الأشوه ، الذى هو بالقبح أولى ، وبالدمامة أحق ..

إنه إلـٰه يخاطب عباده الساكين .

يالله ! إلـٰه .. نعم ، إلـٰه .. إلـٰه كاذب .. إلـٰه مغتر .. إلـٰه باطل .. لا أصل له من حقيقة أو من صدق ..

وماذا نقول لهذا المأفون المجنون ؟

طوبى لحبيب وجد عرف المحبوب من هذه الكلمة التى فاحت منها نفحات الفضل على شأن لا توصف بالأذكار .

لعمرى من شرب رحيق الإنصاف من أيادى الألطاف . إنه يطوف حول أوامرى المشرقة من أفق الإبداع .

طوبى لحبيب وجد عرف المحبوب .. كلام صحيح ، ولكنه كلام عادى لا يستحق وصف البلاغة ..

وقوله من هذه الكلمة إلخ لا صلة له بالكلام قبله ، فكيف يكون الأسلوب سليما كاملا تاما غير ناقص ولا مضطرب ولا ملتوى ؟

ونفحات الفضل خيال مريض، ومثله رحيق الإنصاف وأيادى الألطاف ، وأفق الإيداع ..

قوله : على شأن لا توصف بالأذكار .. كلام معتوه ..

وقوله أوامرى المشرقة من أفق الإبداع ، أوصاف فيها من المبالغة السخيفة ما فيها .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أهذا هو البيان المعجز ؟ أهذه هى البلاغة

النادرة ؟ أهذا هو الإعجاز الذى لا يأتى به أحد ؟

لا تحسين أنا نزلنا لكم الأحكام ، بل فتحنا ختم الرحيق المختوم ، بأصابع القدرة والاقتدار . يشهد بذلك ما نزل من قلم بالوحى ، تفكروا يا أولى الأفكار

غرور كبير ، ينم عن جهل مطبق ، وعن ادعاءات مريضة ، ومن صعد بنفسه إلى مرتبة الألوهية لا يستبعد منه ذلك ، ولكن لنعد إلى الأسلوب ، والأسلوب هنا هابط لا يصح أن يوصف إلا بأنه وسوسة مجنون ، ونظم معتوه ، فتح خاتم الرحيق المختوم بأصابع القدرة .. كل هذا استعارات تعود إلى الألغاز لا إلى البيان . حدثنى بربك ما الفرق بين القدرة والاقتدار ، وما هو قلم الوحى ؟ .. عبث وربى .. ولكننا نريد الكشف عنه ، حتى يعرف المخدوعون أنه هبوط وإسفاف ، ما بعدهما من عى وعجز وخور ..

وإذا أردتم الصلاة ولوا وجوهكم شطرى (الأقدس) المقام المقدس ، الذى جعله الله مطاف الملأ الأعلى ، ومقبل أهل من مدائن البقاء ومصدر الأمر لمن فى الأرض والسماوات ، وعند غروب شمس الحقيقة والتبيان ، المقر الذى قدرناه لكم ، بأنه لهو العزيز العلام ..

كان الصحيح أن يقول : فولوا شطره أى جهته وسمى نفسه الأقدس ، وهذا الاسم هو عنوان الكتاب ، ثم عاد إلى وصف الأقدس أو نفسه بالمقام المقدس على حد تعيير بعض أصحاب البلاغات الهابطة من السلطان بمقام السلطان .

وحدثنى بربك ما حاجة الملأ الأعلى إلى هذا المقام المقدس ليطوفوا به ، وما هو معنى قوله : « أهل مدائن البقاء » هل يفهم عاقل معنى لهذا الكلام ؟

ثم يعود أيضا لوصف نفسه بأنه مصدر الأمر لأهل الأرض والسموات ، ياللعظمة بل ياللخيل ! ..

ويستمر فى غروره وتعظيم نفسه بكلام هو إلى صياغة الأطفال أقرب ، وهو بالعى والحصر أشبه ..

ومجال الأمر فى ذلك أننا أمام الملغز الأعظم ، الذى يهوم على أسماع أتباعه المخدوعين ، ليقول لهم خزعبلاته وأباطيله وأساطيره العظام ..

كل شىء يتحقق بأمره المبرم ، إذا أشرقت من أفق البيان شمس الأحكام لكل أن يتبعوها ، ولو بأمر تنفطر عنه سماوات أفئدة الأديان .

أمره المبرم به يتحقق كل شىء ، أى بأمر هذا الإلٰه المزعوم تتحقق الأشياء ، وأفق البيان ، وشمس الأحكام استعارات إلغاز وإغراب . ولكن ما دخل شمس الأحكام فى تحقق هذه الأشياء بعد أن أصدر أمره المبرم ، ولماذا علق تحقق بالأشياء بإشراق شمس الأحكام من أفق البيان ..

لكل أن يتبعوها ، لعل الضمير يعود إلى الأحكام ، فالأحكام إذًا هى تشريعات ، فكيف تتحقق الأشياء بإشراق شمس الأحكام من أفق البيان إذًا ؟ .. وما هى بربك أفئدة الأديان .. إن هذا لهو الهذيان والخسران ، وزيف البيان .

ولا يكاد يفهم قوله « ولو بأمر تنفطر منه أفئدة البيان » .. ماذا يريد هذا الأبله المخرق ، والشيطان المنمق ؟ ..

إنه يفعل ما يشاء ولا يسأل عما شاء

لا يسأل عما شاء خطأ أسلوبى ، والصواب : ولا يسأل عما يفعل ، وأين هذا من بلاغة القرآن الكريم : ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ ؟

وما حكم المحبوب به بأنه محبوب ومالك الاختراع

يا للعى الأكبر .. إنه لظلام هابط نازل إلى أدنى درجة فى البلاغة .. ثم قوله « ومالك الاختراع » لا صله لها بالكلام ، ولا معنى لها فيه ، ولكنه العجز عن السير فى مواكب البلغاء ، والعى الذى لا يكاد يبين ..

إن الذى وجد عرف الرحمن ، وعرف مطلع هذا البيان ، إنه يستقبل بعينه السهام لإثبات الأحكام بين الأنام .

العرف : الرائحة الطيبة ، وهذا الكلام لا معنى له ، ولا فصاحة فيه .وهو كلام العاجزين ، وأشبه بكلام البلهاء المعتوهين ، ولا معنى له ، ولا يفيد السامع شيئا ، وكأنه غزل ، وكأن قائله يتغزل فى نفسه .. فلا حول ولا قوة إلا بالله ..

طوبى لمن أقبل وفاز بفصل الخطاب ، قد فصلنا الصلاة فى ورقة أخرى ، طوبى لمن عمل بما أمر به من لدن مالك الرقاب .. قد نزلنا فى صلاة الميت ست تكبيرات ، من الله منزل الآيات ، والذى عنده علم القراءة له أن يقرأ ما نزل قبلها وإلا عفى الله عنه إنه العزيز الغفار .

لا مناسبة بين الإقبال والفوز بفصل الخطاب ، ثم ما مناسبة الكلام على الصلاة للكلام قبل ذلك وبعد ذلك ، ومالك الرقاب هنا خاتمة فقرة لا صلة لها بمعنى الكلام ولا بسياقه ..

ثم يجيء الحديث عن صلاة الميت مبتورا عما قبله وبعده ، والصلاة على الميت جعلها البهاء المجنون ست تكبيرات بدلا من أربع ..

وما معنى : له أن يقرأ ما نزل قبلها وإلا عفا الله عنه ؟ كلام ليس له مغزى ولا له معنى ، ولا فيه جدوى أو فائدة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

لا يبطل السفر صلواتكم ولا ما منع عن الروح
مثل العظام وغيرها ..

« السفر لا يبطل الصلاة ولا ما منع عن الروح » كلام مبتور الصلة عن المراد من الآيات ، وليس له ارتباط بما قبله وما بعده ، وهو عى وعجز وفهاهة دونها فهاهة (باقل) ..

وحسين على البهاء إلـٰه البهائية مغرور مدع للبلاغة بالباطل بالكذب ، وكم كان يقول عن الباب إنه لسلطان الرسل ، وكتابه (البيان) لأم الكتاب (١٩٢ لوح أحمد لحسين على البهاء — ص ١٥٤ ط باكستان فى الألواح الستة)

البسوا السمور كما تلبسون الخز والسنجاب
وما دونهما . إنه ما نهى فى القرآن ، ولكن استنبه
على العلماء ، إنه هو العزيز العلام .

أية مناسبة بين هذا الكلام وبين ما قبله ؟!

لا شيء .. لا شيء على الإطلاق .. والأسلوب هابط بلاغيا جد الهبوط ، والذوق يحكم عليه بالإسفاف والهبوط ..

قد فرض عليكم الصلاة والصوم من أول
البلوغ ، أمرا من لدى الله ربكم ورب آبائكم
الأولين ..

هذا هو البهاء مدعى الألوهية ، وإنه رب الناس ورب آبائهم الأولين !! وإنه الذى فرض على الناس الصلاة والصوم .. وبئس الفارض وتعس حظه فى الدنيا والآخرة ..

وبعد ذلك يفكر « البهاء » فى « أقدسه » :

١ ــ أن المرض والهرم يسقط معها كل تكليف .
٢ ــ وأن السجود يكون على شيء طاهر .
٣ ــ وأن البهاء رفع عن الناس حكم الحد .
٤ ــ وأن من لم يجد الماء يذكر خمس مرات :
بسم الله الأزهر الأطهر ..

وهى أحكام ما أنزل الله بها من سلطان ، وهى كلها تشريع ممن لا يملك التشريع ولا التنزيل ، إن هو إلا مفتر أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم .

ثم يستمر البهاء فى كلامه فيقول :

١ ــ الأيام التى طالت فيها الليالى والأيام يصلون فيها الساعات .
٢ ــ قد عفا البهاء عن الناس صلاة الآيات إذا ظهرت ، ولا أدرى ما هى صلاة الآيات التى أسقطها عن عباده المخدوعين .
٣ ــ رفع البهاء صلاة الجماعة ، وكتب على أتباعه الصلاة فرادى .
٤ ــ لا صوم ولا صلاة على الحائض ، ولهن أن يتوضأن ويسبحن خمسا وتسعين مرة من الزوال إلى الزوال .
٥ ــ وفى السفر يقضى المسافر كل صلاة سجدة واحدة ، والعاجز عن ذلك يقول سبحان الله .

قل قد جعل الله مفتاح الكنز حبى المكنون لو أنتم تعرفون ..

وهذا هراء من كلام البهاء ، وغرور باطل ، وخداع للناس ما بعده خداع ..

يا قلم الأعلى قل ، يا ملأ الإنشاء قد كتبنا عليكم الصيام أياما معدودات ، وجعلنا النيروز عيدا لكم بعد إكمالها ..

ما هو « قلم الأعلى » ، وما هو « ملأ الإنشاء » ؟ لا أحد يدرى .. إن هو إلا الإلغاز الذى لا يفهم معه كلام ، ويبطل معه كل بيان ..

كذلك أضاءت شمس البيان من أفق الكتاب من لدن بمالك المبدأ أو المآب .

ما هى « شمس البيان » وما هو « أفق الكتاب » لا ندرى شيئا من ذلك ، لأن هذا المسمى بالبهاء يتكلم كلام الحشاشين ويهرف بما لا يعرف ، بالباطل المبين ..

أهل البهاء .. ذوى القربى ثم الفقراء والمساكين ، يهللن ويكبرن ويسبحن ، ويمجدن ربهم بالفرح والانبساط

يهللن ويكبرن إلى آخره بضمير جمع الإناث خطأ لأن ما قبله مذكر : الفقراء ، المساكين ، إلى آخره والمذكر يعود على الضمير مذكرا ..

ولفظة « الانبساط » خطأ لغوى شديد ..

إن قوله « يهللن ويكبرن ويسبحن » بنون النسوة فيها خطأ فاحش لا يقع فيه الأطفال فإن ما قبله هو « أنفسهم وذوى القربى والمساكين » وهى جموع لمذكر ، فالصحيح أن يقال « يهللون ويكبرون ويسبحون » ..

ويستمر البهاء صاحب الأقدس فى كلام ، فيعفى المسافر والمريض والحامل والمرضع من الصيام ، ويعفى المرأة من الحج ..

ونبذوا أصول الله ورائهم

الصواب : وراءهم — لأنه ظرف منصوب لا مجرور ..

ويجعل صاحب الأقدس الوضوء بغسل اليدين والوجه مرة فى كل يوم ..

إنا لما سمعنا ضجيج الذريات فى الأصلاب زدنا
ضعف مالهم .

هذا هو الكذب الصارخ ، والافتراء الباطل ، والدعاوى الزائفة ، ومن هو حتى يسمع ضجيج الذريات فى الأصلاب ؟ .. إنه كذاب أشر ..

ويستعمل لفظة الشراكة بمعنى المشاركة وهو غير صحيح ، وليس لفظا عربيا صحيحا ..

اتبعوا ما أمرتن به من الطلع البيان

أمرتن خطأ ، الصواب : أمرتم .. ولا أدرى ماذا يريد بالطلع البيان ، والطلع البيان خطأ على أية حال ..

اتقوا الله يا أولى الأنظار

الأنظار : أى الأبصار أو الأفكار ، وهو بمعنى قول القرآن الكريم : ﴿ اتقوا الله يا أولى الألباب ﴾ ..

يا ملأ الإنشاء عمروا بيوتا بأكمل ما يملكن
الإمكان فى ..

ما أسخف تعبير : يا ملأ الإنشاء ، والركاكة ظاهرة فى قوله بأكمل ما يملكن الإمكان ، وتكرار الكاف معيب وهو مخل بالفصاحة ..

اشتغلوا بما ينتفع به أنفسكم وأنفس غيركم

لفظ اشتغلوا عامى مبتذل ، وتركيب ينتفع به أنفسكم خطأ نحوى ، والصواب بما تنتفعون به أنفسكم ، أو يقول بما ينفع أنفسكم وأنفس غيركم ..

والكلام أى الأسلوب هنا أسلوب عامى لا عربى . وليس مثل هذا الأسلوب بالبليغ ولا بالفصيح ..

من لدن ربكم العزيز الحكام

لفظ الحكام يريد به المبالغة فى الحكم واللفظ خطأ لغوى فاحش ، فلم يرد هذا اللفظ فى معاجم اللغة على الإطلاق ، فهو خطأ واضح ..

توبوا إلى الله تلقاء أنفسكم

الأسلوب خطأ وصوابه : من تلقاء أنفسكم ..

يا عباد الرحمن قوموا على خدمة الأمر على شأن
لا تأخذكم الأحزان من الذين كفروا بمطلع الآيات ..

الأمر هنا مبهم ليس فى الأسلوب ما يفسره ، والإبهام فى الكلام عى وحصر وفهاهة .. وقوله « على شأن » لا معنى له ، إنه كلام فارغ باطل ..

من الناس من يقعد صف النعال طلبا لصدر
الجلال ، قل من أنت أيها الغافل الغرار ؟ .

« من يقعد صف النعال » كلام فارغ لا معنى له ..

الغرار لم يرد فى اللغة بمعنى الغرور ولا بمعنى المغرور ..

ومنها من يدعى الباطن وباطن الباطن قل يا أيها
الكذاب تالله ما عندك ؟ إنه من القشور تركنا لكم كما
تترك العظام للكلاب ..

لفظة « ومنها » خطأ ، الصواب « ومنهم » ، والأسلوب هنا أسلوب مدع للعلم بالعربية وهو لا يعرف شيئا من العربية ..

تالله الحق لو يغسل أحد أرجل العالم ..

جعل للعالم أرجلا ، وهو غير صحيح ..

ولا تحرموا أنفسكم عن هذا المال

الصواب هنا : من هذا المال ..

من فاز بحبى حق له أن يعقد على سرير العقيان

يعقد .. صوابه : يقعد ، وسرير العقيان أى الذهب تعبير مبتذل ..

صدر الإمكان والذى منع عنه لو يقعد على
التراب ، إنه يستعيذ منه إلى الله مالك الأديان .

أسلوب ركيك ضعيف لا معنى له على الإطلاق ، ومعاذ الله من هذا الابتذال ..

من يدعى أمرا قبل إتمام ألف سنة كاملة ، إنه
كذاب مفتر

إنه كذاب . الصواب : فإنه كذاب ، لأن (من) إما شرطية أو موصولية تحمل معنى الشرط فتدخل فى جوابها ، وإذا كانت شرطية فلا بد من حذف ياء « يدعى » ..

من يؤول هذه الآيات هذه الآية أو يفسرها بغير
ما نزل فى الظاهر إنه محرم من رحمة الله ..

والصواب هنا « فإنه محروم » .

سوف يرتفع النعاق من أكثر البلدان

أسلوب ركيك عامي مبتذل ، وهو ليس بالأسلوب البليغ .

إن الناس نيام لو انتهبوا

الصواب : « لو انتبهوا »

كذلك ينبئك من عندة علم الغيب فى لوح
ما ظهر فى الإمكان ، وما اطلع به لأنفسهم المهيمنة
على العالمين

مثل هذا الكلام لغو لا يعتد به فى البلاغة ، وهو كلام لا يفهم منه شئ ، وفيه أخطاء واضحة ، وإلا فما معنى « وما أطلع به إلا نفسه » .. ويمكن أن يقول وما أطلع عليه إلا نفسنه ، أو ما أطلع عليه أحدا إلا نفسه ..

وقوله « فى لوح ما ظهر فى الإمكان » سخف ولا سخف مثله ، وهراء لا هراء غيره ..

لعمرى لا تبقى عزة ولا زخارف الأغنياء
ولا شوكة الأشقياء ..

أسلوب فيه خطأ نحوى واضح .. الصحيح فيه أن يقال : لعمرى لا تبقى عزة الأغنياء ولا زخارفهم ، ولا شوكة الأشقياء ..

ولفظة الأشقياء فى غير موضعها هنا .. والصحيح أن يقال : الأقوياء.

ومثل هذه الأخطاء تنفى بلاغة الكتاب ، وتضعه فى موضعه المتواضع من كتب متوسطى الأدباء ..

لا تنفع النـاس ما عندهـم من الأثـاث ،
وما ينفعهم .

أسلوب خاطئ ، والصحيح فيه أن يقال : لا ينفع الناس ما عندهم من الأثاث ، لأن ما وإن وقعت على الأثاث إلا أن الأثاث مذكر فلا تُذكر بالتأنيث فى الفعل ، بل يقال : لا ينفع .. وقوله بعد ذلك : وما ينفعهم لغو لأنه هو ما سبق نفسه ، وليس دالا على شيء جديد ..

لو يعرفون ينفقون ما عندهم لتذكر أسمائهم لدى
العرش إلا أنهن من المتيمين

أسلوب لا تقوله الأطفال ، وانظر إلى الخطأ الفاحش الذى وقع فيه ..

لتذكر أسمائهم .. الصحيح أسماؤهم بالرفع نائب فاعل ، ومن الخطأ البيِّن : أسمائهم بالجر .. إنهن خطأ عجيب ، فالضمير يعود على مذكر ، فكيف يأتى به مؤنثا .. الصحيح أن يقال : وإنهم ..

إلى ما اعتكفتم على أصنام أهوائكم

الصواب : إلام وهو استفهام للتقريع والتوبيخ وما تحذف ألفها وجوبا هنا ..

وفى ذلك لآيات لمن ينظر إلى مقتضيات
الطبيعة ..

لآيات اللام فيها لام الابتداء ، وهى يؤتى بها فى صدر المبتدأ لأن له الصدارة ، ويؤتى بها فى الخبر المقدم فى الكلام ، ولا يؤتى بها فى الخبر المؤخر كما هنا ، فذكر اللام خطأ نحوى يذهب ببلاغة الكلام ..

إنا ربيناكم بسياط الحكمة والأحكام

الحكمة لا سياط لها والأحكام لا سوط لها . إنها هى مبادئ تشريعية يجب اتباعها لمصلحة الفرد والجماعة والأمة ..

لا تعرفون ما أردناه لكم من أوامرنا المقدسة ،
لتفدون أرواحكم لهذا الأمر المقدس .

قوله « لتفدون » خطأ نحوى واضح .. والصواب « لتفدوا » بحذف النون لأن اللام ناصبه ونصب الفعلِ هنا ، وهو من الأفعال الخمسة يكون بحذف النون ..

إياكم أن تنغمس أياديكم فى الصحاف والصحان

لم يرد استعمال صحن جمعا على صحان ، بل الصواب : صحون

إنه أراد أن يراكم على آداب أهل الرضوان العيون
على ما تكره أنفسكم وأهل الفردوس والذى تجاوز
عنها يحبط عمله فى الحين .

« أهل الرضوان العيون » لفظة العيون هنا لا مكان لها ولا موضع لها ، واستعمالها هنا خطأ ، فالعيون بمعنى وجهاء الناس تجمع على « الأعيان » لا على « العيون » .. وقوله « فى الحين » تعبير عامى مبتذل وأراد به : « عاجلا » .. والحين ظرف مبتد الزمان فلا يأتى بمعنى « التو » ..

وإن كان له عذر يعف الله

الصواب : يعف الله عنه ، فحذف العائد هنا خطأ ..

أظهرناه فى هذا الظهور

الصواب : هذا الظهور بحذف (فى) ويكون اسم الإشارة نائب عن المفعول المطلق ..

وقد حكم الله لكل زان وزانية دية مسلمة إلى بيت
العدل

الصحيح : وقد حكم الله على كل زان وزانية .

كونوا رعاة أغنام الله فى مملكته ، واحفظوهم عن
الذئاب الذين ظهروا بالأثواب كما تحفظوان أبنائكم

أغنام الله يريد أبناء المسلمين ، وهو استعارة رديئة ..

هذا الأسلوب وهو قوله « الذئاب الذين ظهروا بالأثواب » خطأ فاحش يريد أنهم ذئاب فى زى بشر .. فوصفهم بالذين ظهروا بالأثواب خطأ .. ويمكن أن يعبر بتعبير آخر أى تعبير ، وقوله إن أبنائكم خطأ والصواب « أبناءكم » لأنه مفعول به ..

طيروا بقوادم الانقطاع فوق الإبداع

تعبيرات عجيبة ، وأساليب غريبة ، وكلام غير مفهوم ، ما هى قوادم الانقطاع ، خبرونى بربكم عنها ما هى ؟

هل علمتم من أى قلم يأمركم ربكم ؟

ألا يعرف هذا الأبله أن مثل هذا الكلام لغو ، وكان من الواجب أن يقول : بأى قلم ، بدلا من قوله « من أى قلم » ..

وأما الشجاج والضرب تختلف أحكامها
باختلاف مقاديرهم

هنا أخطاء فادحة لا مثيل لها فى كلام أحد « تختلف » هو جواب أما الشرطية فيجب أن يقترن الفعل بالفاء ، فيقال فتختلف .. مقاديرهم خطأ والصواب : مقاديرهما ..

شئونات النفس والهوى

جمع شأن هو : شئون ، وجمعه على « شئونات » خطأ لا يقع فيه الأطفال ..

إن أنتم من الموقنين

الصواب : إن أنتم إلا من الموقنين إن كان المراد إثبات (الإيقان) لهم .. وإن كان مراده إن أنتم من هؤلاء ، فالصواب أن يقال : إن كنتم أنتم من الموقنين ..

إذا أرسلتم الجوارح إلى الصيد .. اذكروا الله

الصواب أن يقال : فاذكروا الله ، لأنه واقع فى جواب « إذا »

وإن حدث بينهما كدورة

لفظ كدورة خطأ لغوى فاحش ، والصواب كدر ..

إنه كان على كل شيء حكيما

أسلوب يدل على فقدان روح البلاغة على الإطلاق .. أفهم أنه يقال : إنه كان على كل شيء قديرا ، ولكن لا يقال : حكيما .. الصحيح أن يقال كان فى كل شيء حكيما من الحكمة .

كان على العالمين محيطا

كذلك هذا الأسلوب الصحيح فيه أن يقال : كان بالعالمين محيطا

فى كتاب كان فى سرادق العز مستورا

الصحيح : مسطورا بالطاء لا بالتاء ، وهذا ما يحتمه المقام فهو بالطاء مسطورا ، وهو ليس مستورا من الستر إذلا مقام له فى هذا المقام .

لما ظهرت جنود العرفان برايات البيان انهزمت
قبائل الأديان إلا من أراد أن يشرب كوثر الحيوان فى
رضوان كان من نفس السبحان موجودا

مجنون من يقول مثل هذا الكلام .. رعنان من جنود العرفان ورايات البيان ،

وحدثنى بربك ما هى قبائل الأديان إلا أن يكون مراده منها: وانهزمت كل الأديان وأتباع الأديان أمام دينه الجديد .. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .. وقل لى بربك : ما هو كوثر الحيوان .. أما السبحان فلفظ من تخريفه ، لا من واضع اللغة العربية ..

رفع الله حكم دون الطهارة موهبة من الله

لا نعرف معنى دون الطهارة .. وكلمة موهبة لعله يريد هبة أى تبرعا .. ولا حول ولا قوة إلا بالله لهذا المخرف الضال الأثيم ..

هذا يوم فيه سرع كرم الله

الصحيح : أسرع ، وسرع خطأ

بل جئنا بل لتصرف القلوب لإنها المنظر البهاء

لا أدرى كيف يستقيم هذا الأسلوب ؟ .. وقوله إنها : الصواب فيه : إنه ..

النور المشرق من هذا الأفق اللميع

اللهم فإنا نعوذ بك من صاحب لفظة (اللميع) ، وما أدراك ما اللميع ؟ لفظة منحوته من مخه الأجوف ، وفكره المهلوس ..

إنه لهو الفضال الكريم

الفضال عنده : كثير الفضل .. وهو يتصرف فى الألفاظ كأنها تابعة لملكه وخادمة له ، ولا يدرى المسكين أن اللغة وضع واضع ، واصطلاح مصطلح عليها .. وإلا ضاع التفاهم ، وتعذر اللقاء بين الناس ..

نبذ لوح الله ورائه

الصواب : وراءه ، فهو منصوب وليس مجرورا ..

إنه كان على كل شيء محيطا

الصواب : بكل شيء

بعد إذ كنا غنيا عنكم

الصواب أن يقال : بعد إذ كنا أغنياء عنكم ، وغنيا هناك خطأ واضح

قد حضرت لدى العُرش عرائض شتى

لفظة عرائض لفظة عامية مبتذلة وليست بالعربية الفصيحة ..

قلوب نوراء

هذه هى بلاغة البهاء حسين .. الذى أظلم قلبه واسود وجهه من الإثم والذنب العظيم ..

إنا أردنا نراكم مظاهر الفردوس

الصحيح : أن نريكم لا نراكم

كذالك أشرقت شمس الحكم من أفق البيان

دائما يكرر الأقدس هذه الألفاظ : أشرقت شمس الحكم ، أفق البيان .. وكأنها فى رأيه غاية البيان

المدل على فضله

يريد : الدال على فضله ، فوضع المدل بدلا من الدال وهو خطأ صرف واضح .. إنه عاجز عن أن يفهم قواعد النحو والصرف فمن أين تأتى البلاغة ؟ ..

إذا كنت رقداء أو أيقظكم من نسمات الوحى ..

رقداء : يا للداهية ، يريد : راقدين فأتى بالكلمة على صيغة جمع التكسير خطأ إذ ليس فى اللغة لفظة « رقداء » أبدا ..

وتثبت أسمائكم

هكذا كتبوها على أنها مجرورة ، والصواب أنها مرفوعة وتكون صحتها . أسماؤكم .

لتسئلوا ما تحتاج به أنفسكم لا ما تكلم به
رجال قبلكم

لا أدرى ما معنى هذا الكلام ، ما دلالته ، ما مضمونه ، ما المقصود منه ؟ .. إنه كلام لمجرد الكلام ، لا لمعناه ولا لمبناه ، يا لله لهذا الجهل والادعاء والغرور والزيف والبهتان !! .. إن البيان كما يراه جهابذة البلاغة المعانى القائمة فى صدور الناس المتصورة فى أذهانهم ، والمتخلجة فى نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفيفة ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة فى معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه المعاون له على أموره ، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه بغيره . وإنما يحيى تلك المعانى ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها . وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم ، وتجليها للعقل ، وتجعل الخفى منها ظاهرا ، والغائب شاهدا ، والبعيد قريبا . وهى التى تلخص الملتبس ، وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مقيدا ، والمقيد مطلقا ، والمجهول معروفا ، والوحشى مألوفا ، والغفل موسوما ، والموسوم معلوما . وعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفسح ، وكانت الإشارة أبين وأنور ، كان أنفع وأنجع ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى ..

هكذا قالوا ، فأين هذا البهاء من هذه المضامين ، ومن هذا البيان ؟ .. اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله ..

وينادى نقطة البيان ويقول : يا محبوب الإمكان
بما تتضوع به نفحات الطافك الإبانة

هذا هو كلام أشبه بالهذيان منه بالكلام والبلاغة ، وأين هو من البلاغة والبيان ، ومن الوضوح والإفهام .. فلا حول ولا قوة إلا بالله ..

إنا أخبرنا الكل بأن لا يعادل بكلمة منك ما نزل
في البيان ..

أهذه هي البلاغة ؟ أهذا هو البيان ؟ أهذا هو الإبانة والدلالة على المعانى القائمة فى النفس ؟ كلا وألف كلا ..

يا ملأ الإنشاء ، اسمعوا نداء مالك الأسماء

هذه هي بلاغة البهاء ، هذا هو هذيانه المحموم ، وكلامه المرقوم ، وبيانه العيى ، وأسلوبه الغبى .. كم كرر عبارة يا ملأ « الإنشاء » ، كأنه يدل بها إدلالا شديدا ، وكأنها وحدها البلاغة ، ولا بلاغة سواها فى ظنه وفى حدسه ووفى رأيه ..

إنه لا إلٰه إلا أنا المقتدر المتكور المتسخر .

أى شرك وكفر وإثم وبهتان وضلال ، أكبر من ذلك .. ولفظة «المستسخر» هل نقلها من اللغة ، هل أخذها من الأدباء القدماء أو المحدثين ؟ .. إنى لم أرها ولم أسمعها إلا فى هذا الكلام الأجوف المحموم ..

إياكم أن تمنعكم شئونات الأرض عما أمرتم به ..

ما أسخف ما جاء فى هذا الكلام من لفظ شئونات الذى سبق وأن استعمله مرة قبل هذا .. وكأن هذا اللفظ حلى بالسكر أو دهن بالزبد ، فهو عنده ألذ من اللذيذ ، وهكذا يكون ذوقه الفاسد ، وجبعة الغث ، وبيانه القاصر ..

كونوا مظاهر الاستقامة بين البرية

يا سلام ، على هذا الكلام .. كونوا مظاهر الاستقامة .. هذه هى البلاغة فى عرفه ، وهذا هو النظم فى رأيه ، وهذه هى الفصاحة كما يفهمها ذوقه العيى الذى لا يبين ..

أن يشرب كأس ماء عندكم أعظم من أن تشربن
كل نفس ماء وجوده ، بل كل شىء أن يا عبادى
تدركون .

حدثنى بربك ماذا فهمت من هذا الكلام ، وماذا حصلت فى هذا المقام ، وماذا قال هذا الكلام ، من لفظ كل إلغاز وإعجام ؟ .. والسلام ..

وانصعق من فى الإنشاء إلا من أخذته نفحات رحمتى وفوحات ألطافى

لا يقول مثل هذا الكلام إلا من أصيب بداء الهذيان ، أو نزلت عليه صاعقة من السماء فلم يستطع إلا العواء والصريخ ..

وحسبك قوله : انصعق .. رماه الله بالصواعق من حيث لا يحتسب ..

من عرفنى فقد عرف المقصود ، ومن توجه إلى قد توجه إلى المعبود ..

ابعد هذا شرك ؟ أبعد هذا ضلال ؟ هذا هو الإلٰه المزعوم ، أصابه الله بالزقوم ، وداء السموم ، وبكل داهية من حوله تحوم .. ولقد مات نتنا ، وعاش نجسا ، وانتهى أمره .. ولله عاقبة الأمور ..

من يقرأ آية من آياتى لخير له من أن يقرأ كتب الأولين والآخرين ..

إذن فكلامه عفى على كتب السماء المنزلة من قبله ، وكلامه معجزة فوق كل معجزة ، ومن أين يكون معجزة مع فساد معانيه ، وسوء مبانيه ، ومع أخطائه اللغوية والنحوية والصرفية والإملائية ، التى لا يحصرها العد .. إلى أخطائه الأسلوبية التى لا مثيل لها فى كلام متشدق متفيهق مثله ؟ ..

يا ملأ البيان أقسمكم بربكم الرحمٰن

ملأ البيان كثرت فى كلامه الشبيه بالهذيان .. ومن أجل هذا سقط كلامه وبار ، وانتهى إلى الخسار والضلال والنكران ..

وقد ضرح نقطة البيان فى هذه الآية بارتفاع أمرى قبل أمره .

نقطة البيان عنده هو (الباب الميرزا محمد على) .. وهكذا كان البهاء هاديا

له .. من بعد أن كان من أصغر أتباعه ، ويمشى فى ركابه .. ولله در سلطان إيران السلطان ناصر الدين شاه الذى نفى البابيين والبهائيين إلى العراق ، وسجنهم وعذبهم من قبل ذلك ، وكشف زيفهم وضلالهم العظيم .

وماذا فى كلام هذا الأفاك الأثيم ؟ أليس فيه تنكر للحرية ؟ ألم يقل « إن الحرية تنتهى عواقبها إلى الفتنة التى لا تخمد نارها » ؟ ألم يقل « إن الحرية تخرج الإنسان عن شئون الأدب والوقار وتجعله من الأرذلين »

إنه لهو الفضال الكريم

لم يسمع فى الدنيا كلها كلمة (الفضال) إلا عند هذا الملقب بالبهاء ، صب عليه جام غضبه وعذابه ..

اتقن الله يا عبادى كلكم أجمعون

رفْع أجمعون خطأ نحوى صحته (أجمعين) لأنه صفة لعبادى المنصوب فهو منصوب مثله ..

لا تأخذكم الكسالة والأحزان

لفظ الكسالة كذلك لفظ اخترعه هذا البهاء ، ولا أصل له فى كلام اللغويين والأدباء والبلغاء .

علملوا ذرياتكم ما نزل من سماء العظمة والاقتدار

لفظ الاقتدار يتكرر عند البهاء كثيرا كأنه عنده من ألفاظ البلاغة التى يعجز عن مثلها كل البلغاء .

هنيئا لمن شرب لرحيق الحيوان من بيان ربه الرحمٰن

وأنا أقول له هنيئا بك يا شارب رحيق الحيوان ، لأنك حيوان كالحيوان ولست إنسانا وإن ظهرت بمظهر إنسان ..

قد ظهر سر التنكيس لرمز الرئيس

هذا هو السجع وبلاغة السجع عنده ، وأى سجع هذا ، وأى سخافات هذه السخافات ..

هذا القلم الذى تحرك فاحت نسمة الله فيما سواه

أى كلام ، وأى أسلوب ، وأى عبارة ، أسوأ من هذا الكلام والأسلوب والعبارة ؟

لاتجعلوا أنفسكم ملعب الجاهلين

إن الإنسان وهو يقرأ مثل هذا السخف الشديد ، ليفزع من أن يعيش أحد فى هذا القرن يتكلم بمثل هذا الكلام ، ويتصور أنه يأتى بالبلاغة والفصاحة ..

رأيناكم خلف الحجبات

لا أدرى ما معنى « الحجبات » هنا ماذا يريد بها ؟ ما مدلولها ؟ ..

يشهد بذلك شهداء الله وأصفيائه

لا يدرى هذا المدعى للبلاغة والفصاحة أن أصفياء معطوف على شهداء فهو مرفوع مثله ، والصحيح فيه أن يقال وأصفياؤه .. فلفظة أصفيائه خطأ كبير ، وهى خطأ فى النحو الذى لا يستقيم الكلام إلا به ..

إياكم أن تمنعكم الأسماء عن مالكها ، ويحجبكم ذكر عن هذا الذكر الحكيم

الذكر الحكيم عنده هو كلامه (الأقدس) الذى احتوى على الكثير من الخطأ واللغو والهذيان .

استعيدوا يا معشر العلماء ولا تجعلوا أنفسكم حجابا بينى وبين خلقى

هل هناك شرك أوضح من هذا الشرك وهل هناك كلام أبين من هذا الكلام فى ادعاء الألوهية ، والشرك بالله رب العالمين ..

قل تالله الحق لا تغنيكم اليوم كتب العالم
ولا ما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب

يعنى أنه لا ينفع الناس كتاب إلا الأقدس ، ولا يغنيهم إلا هذيانه وخطؤه ولغوه وزيفه وباطله ، الذى لا باطل فوقه ..

ينبغى اليوم لمن شرب رحيق الحيوان من يد ألطاف
ربه الرحمن أن يكون نباضا كالشريان فى جسد
الإمكان

هذا هو رحيق الحيوان المختوم ، الذى يكرره فى فصول (الأقدس) المذموم فسوءة له ولا قدسه المسموم .

قل إنا دخلنا مكتب المعانى والتبيان حين غفله من
فى الإمكان

وأخيرا نرى مكتب المعانى والتبيان ، ينطق به مثل هذا المدعى للبيان .. فلا حول ولا قوة إلا بالله ..

يا ملأ البيان إنا دخلنا مكتب الله

ملأ البيان مما تكرر فى أقدسه المذموم كثيرا حتى أصبح مملولا ، ومكتب الله هنا من سخف بيانه ، وضلال هذيانه ..

تالله انكشف الحجاب أنكم تنصعقون

كرر تنصعقون هنا مما يدل على فساد ذوقه وسوء بيانه .. وخطأ كلامه .
وقد كرر كلمة تنصعقون التى لم تسمع من قبل ولا من بعد إلا عنده

قد خلق الله ذلك المكتب قبل خلق السموات
والأرض ودخلنا فيه قبل أن يقترن الكاف بركنها
النون

المكتب الكئيب الذليل هو الذى ذكره من قبل وسماه مكتب الله ، ومكتب المعانى والتبيان ، ولا ندرى من كلامه ماذا يقول ؟ إلا الضلال فى كل ما يقول ..

وبعد فهذا هو (الأقدس) وهذه هى لغته وأسلوبه وأخطاؤه التى ذكرنا بعضا منها ، والتى تنزل بأى كلام إلى أسفل درجة فى البلاغة .. ومع ذلك فهو يجعل (الأقدس) معجزته وسر بلاغته ، ومعدن ينبوع حكمته ويفتخر به ، ويجعله ناسخا لما سبقه من كتب السماء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

يجعل البهاء (أقدسه) بديعا ما شهدت عين الإبداع شبهه ، ويقول فيه : اغتمسوا فى بحر بيانه لعل تطلعون بما فيه من لآلئ الحكمة والأسرار . ويستمر فى هذيانه فيقول : هذا دين الله من قبل ومن بعد ..

ويعود إلى هذيانه فيقول : هذا كتاب أصبح مصباح القوم للعالم وصراطه الأقوم بين العالمين ، قل إنه لمطلع علم الله ، ومشرق أوامر الله ..

وليس وراء ذلك كله إلا الدجل والزيف والباطل الواضح ، والإثم الظاهر ، والفساد البين ، والخطأ اجسيم ، والضلال المبين ..

ويقول البهاء فى « الأقدس » أيضا :

تفكروا فى هذه الآية ثم انصفوا بالله لعل تجدون
لتالى الأسرار من البحر الذى تموج ..

ما أكثر استعماله « لعل » هكذا ، المعروف أن لعل من الحروف المشبهة بالفعل ولا تدخل إلا على الأسماء أو الضمائر ، وهذا ما يعرفه التلامذة فضلا عن المهرة والأساتذة ، وقد كثر استعمالها عند العرب . ولكن ما أكثر ما أدخلها هذا الجهول على الأفعال مثل قوله فى « الأقدس » أيضا : انظروا ما نزل فى مقام آخر لعل تدعون ما عندكم » ، واغتمسوا فى بحر بيانى لعل تطلعون بما فيه » ..

هذا ويقول فى مقام آخر من « الأقدس » :

اتقوا الله يا أولى الأبصار ولا تنكرون

فهل يمكن لأحد يعرف القواعد البدائية أن يقول « تنكرون » بعد « لا » الناهية ..

ومن أخطائه أيضا قوله :

ليس هذا أمر تلعبون به

فهذا الرّجل لا يعرف عمل « ليس » بأنه يرفع الاسم وينصب الخبر .. ويقول :

لعل الأحرار يطلعن على قدر سم الإبرة

فمن يخبره أن أحرار جمع حر ، والذكور لا ترجع إليهم ضمائر التأنيث . وإن أراد التأنيث أى الحرة فجمعها الحرائر لا الأحرار ..

ويقول البهاء فى (الأقدس) :

إن أول ما كتب الله على العباد عرفان مشرق
وحيه .. من فاز به قد فاز بكل الخير ، والذى منع أنه
من أهل الضلال ولو يأتى بكل الأعمال(١)

وبقطع النظر عن الغموض والتعقيد المعنوى فقد استعمل « من فاز به قد فاز » وكان الأفصح والأنسب « من فاز به فقد فاز » .

ثم قال :

والذى منع أنه .. إلخ

ويريد من المنع الامتناع ، والفرق بين المنع والامتناع واضح وجلى يعرفه الطالب والمبتدئ .

وأيضا أية فصاحة وبلاغة فى قوله :

إنه من أهل الضلال ولو يأتى بكل الأعمال

وإن أراد محاكاة القرآن الكريم ، الذى لا يمكن لأحد أن يحاكيه بعقل وفهم ، كان الأجدر به أن يقول : « من قبله فاز فوزا عظيما ، ومن امتنع فقد أحبط

عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » ولكن كما قيل قديما فى الفارسية : « النقل أيضا يحتاج إلى العقل » ..

وهل هنا عاقل يتبارى لمضاهاة أفصح الكتب وأبلغها وأعلاها حكمة وعلما وحسنا ، وجمالا ورونقا ، كتاب الله الخالق المتعالى الكبير .

إنا أمرناكم بكسر حدودات النفس والهوى
لا ما رقم من القلم الأعلى .

١ — ولفظة « حدودات » لا ينطق بها العرب لأن الحد جمعه حدود لا غير .

٢ — لا معنى « لحدودات النفس والهوى » أصلا .

٣ — لفظة (رقم) إلى صلة (من) إن كان معروفا ، توصل (بالباء) إن كان مجهولا ، أى (ما رقم بالقلم الأعلى) لا (من القلم الأعلى) .

٤ — والفقرة كلها مهملة ، وإلا فما المقصود من كسر حدودات النفس والهوى وعدم كسر ما رقمه القلم الأعلى ؟

٥ — والفقرة الثالثة من الكتاب « يا ملأ الأرض اعلموا أن أوامرى سرج عنايتى بين عبادى ومفاتيح رحمتى لبريتى ، كذلك نزل الأمر من سماء مشية ربكم مالك الأديان .

« فالعناية » التى يكثر استعمالها المازندرانى فى لفظة فارسية بمعناها وليست بعربية ، لأن العناية معناها فى الفارسية الحب والرحمة واللطف والكرم ، وهذا ما يقصده ههنا وفى المواضع الأخرى الكثيرة فى « الأقدس » وغيره ، أما العناية فى اللغة العربية فمعناها الحفظ والاهتمام كما لا يخفى على أحد ممن له أدنى صلة باللغة العربية ، وأما استعماله العناية العربية فى معناها الفارسى فلا يدل إلا على جهله مدلولات الألفاظ ومنابعها . والفقرة السابعة من أقدسه لا يمكن لطلاب

اللغة العربية فى الابتدائية أن يأتوا بمثلها فى الرداءة والبذاءة وسوء الصياغة وضعف التأليف ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وهذه هى الفقرة :

لو يجد أحد حلاوة البيان الذى ظهر من غم مشية الرحمن لينفق ما عنده ولو يكون خزائن الأرض كلها ليثبت أمرا من أوامره المشرقة من أفق العناية والألطاف ..

.. قل من حدودى يمر عرف قميصى وبها تنصب أعلام النصر على الفتن والأطلال قد تكلم لسان قدرتى فى جبروت عظمتى مخاطبا لبريتى أن اعملوا حدودى حبا لجمالى ..

لنضرب الصفح عن المعانى ومفهوم الفكرة التى لا مفهوم لها ، ونقول لبهاء فارس المعانى فى مضمار الحكمة والبيان وصاحب القلم الأعظم :

١ — إن فعل المرور لا يتعدى « بمن » ولا يوجد له شاهد فى كلام العرب قديما وحديثا ، بل إنه يتعدى « بالباء » ..

٢ — العرف « بفتح العين وسكون الراء » الرائحة طيبة كانت أم منتنة ، وقصده ههنا الرائحة الطيبة ، وتلفت النظر إلى أن العرب لا يستعملون لفظة المرور بالعرف بمعنى الرائحة الطيبة بل يستعملون لفظة تضوع ونفخ وفح وتفرق وانتشر وسطع ، ولكن البليد هذا لا يعرف استعمالات العرب ويصوغ التراكيب كيفما يشاء غير عارف بأن لكل لغة قواعد ومناسبات ، ولا يجمل الجمل ويحسن الصياغة إلا حسب دستور اللغة ونظامها ، ولا يحكم على الكلام بالفصاحة والبلاغة أو الرداءة والبذاءة إلا حسب ذلك الدستور وتلك القواعد .

٣ — إنه قال « مخاطبا لبريتى — و — أن اعملوا حدودى — » وكان

الأفصح والأنسب والصحيح أن يقول « مخاطبا بريتى » بدون الصلة باللام وإتيان الصلة على الحدود « لأنه لا معنى لـ (اعملوا حدودى) — »

فالمقصود أن حسين على المازندرانى إلٰه البهائية ورب البهائيين ، ومدعى الفصاحة والبيان ، يتخبط العشواء حيث لا يدرى ماذا يختار من الألفاظ والحروف وماذا يترك ، وهذا بقطع النظر عن المعانى والمفاهيم طبعا لأن كل كلامه خال عن المطالب والمقاصد والمفاهيم ، ولم يكن غرضه إلا حشوا لكتب من الغث والسمين ..

طوبى لحبيب وجد عرف المحبوب من هذه الكلمة التى فاحت منها نفحات الفضل على شأن لا توصف بالأذكار ..

فالفقرة كلها نموذج لركاكة الأسلوب وضعف اللغة العربية ، وهلم جرا إلى آخر فقرات الأقدس ، الكتاب الذى تعده البهائية ناسخا لجميع الكتب السماوية والصحف الإلٰهية ، والذى قال فيه طاغوتهم المازندرانى نفسه :

تالله لا تغنيكم اليوم كتب العالم ولا ما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب الذى ينطق فى قطب الإبداع أنه لا إلٰه إلا أنا العليم الحكيم ..

فكل فقرة من فقراته وعباراته مهملة رديئة ومليئة بالأخطاء من حيث اللغة والقواعد ، وكل جملة وكلمة من كلماته تخالف محاورات العرب ، وأساليبهم ، فلا تجد عربيا يكتب مثلما كتب ولا ينطق مثلما نطق ، لا الأولين ولا الآخرين ، وأطفالهم وجهلتهم يشمئزون وينفرون من تلك العربية التى يصوغها حسين على إلٰه البهائية وربهم ..

ولا يبطل الشعر صلواتكم ولا ما منع عن الروح مثل العظام وغيرها البسوا السمور كما تلبسون الخز والسنجاب وما دونهما وأنه ما نهى فى الفرقان ولكن اشتبه على العلماء إنه لهو العزيز العلام ..

فما معنى « لا يبطل الشعر صلواتكم » ؟ ثم وأية لغة هذه « ولا مانع عن الروح مثل العظام » ؟

وبعد فماذا يقول لنا الأقدس ؟!

إن الكتاب الأقدس الذى ادعى البهاء أنه معجزة بيانية له يدل دلالة قاطعة على ما يأتى :

أولا :

١ — أن البهاء يجعل اللغة العربية وأساليبها وبلاغتها ، وإذا كتب بها وقع فى أخطاء لا تغتفر لطالب صغير ، فكيف برسول أو بإلٰه مزعوم .. ملأه الغرور والكبر ، ونفخ فيه الشيطان ببوق كبير ، فجعله كقربة منفوخة لا تلبث إذا أصابها شيء يسير أن تتمزق من كل جانب .

٢ — وقد اضطر البهاء إلى أن يزعم أن اللغة العربية هى لغة رسالته المقدسة ، لأنها لغة الوحى ولغة الرسالة ولغة الشريعة ، فصنع ما صنعه الباب الشيرازى من قبل الذى ادعى أن معجزته بيانية ، وأنها تتمثل فى كتابه البيان .

وأغلب الظن أن البهاء مثل الباب لا يعرف كلاهما حرفا من العربية ، ولكن كلا منهما استخدم من يكتب له بها .. واللغة الفارسية هى لغة كل منهما ، ومع ذلك فقد كانا لا يجيدانها الإجادة التامة ، لذلك اختار كل منهما أن ينسب إليه كتاب بالعربية ، وادعى كل منهما أن هذا الكتاب هو معجزته ..

وحاول كل منهما أن يحاكى القرآن الكريم فى لغته وأسلوبه وبعض معانيه ، ولكن ما أكبر الفرق بين كلام الخالق العظيم ، وبين كلام الخالق المزعوم ، وما أشد البون بين كلام معجز حقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وبين كلام مملوء بالتكلف والمبالغة والزيف والخطأ فى المعانى والأساليب واللغة والإعراب أى النحو وفى صرف الكلمات كذلك ..

لقد رأينا الأقدس يمتلىء بالخطأ لغة ونحوا وصرفا وبلاغة ومعانى وترتيب كلام ونسق أسلوب وصياغة ..

وقد استعرضنا فيما سبق الكثير من هذه الأخطاء ..

وقد ذكر الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار لكتاب الأقدس ، فقال :

ولحسن على البهاء كتاب. سماه (الأقدس) حاول محاكاة القرآن فى فواصل آيات وفى أنباء الغيب ، ولكن أتباعه الأذكياء لم يجدوا بدا من إخفاء هذا الكتاب ، وجمع ما كان تفرق من نسخه المطبوعة فى الأقطار ، ولا يدريه إلا الله ماذا يفعلون بعد أن يثقوا بأنهم استردوا سائر نسخه من تصحيح وتنقيح ..

ذلك أن هذا الكتاب يحفل بألوان الحبسة النحوية والاسمية والدلالية ، ورغم حرص كاتبه على أن يكتبه بالعربية إلا أنه لم يسلك فى تركيبه سبيل الفصاحة ، واتسمت كتاباته باللكنة والهجنة وضعف التأليف ، فى حين ينبغى أن يكون تأليف أجزاء الكلام على القانون النحوى المشتهر فيما بين معظم أصحابه حتى لا يمنع عند الجمهور ، وذلك كالإضمار قبل الذكر لفظا أو معنى نحو : ضرب غلامه زيدا . فإنه غير فصيح وإن كان ما اتصل بالفاعل فيه ضمير المفعول به مما أجازه الأخفش وتبعه ابن جنى لشدة اقتضاء الفعل المفعول به كالفاعل واستشهد بقوله:

لما عصى أصحابه مصعبا ... أدّى إليه الكيل صاعا بصاع

وقوله :

جزى سوءًا أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقوله :

ألا ليت شعرى هل يلومن قومه ... زهيرا على ما جرى من كل جانب

ثانيا : الألواح

(أ) لوح البقاء :

ـــ يقول حسين على البهاء فى كتابه « لوح البقاء » :

« اعلم يا عبدا ! قد حضر بين يدينا كتابك أخذناه
بيد العناية وارتدت إليه لحظات ربك العزيز
الحميد »[١]

وهذه العبارة كلها سقيمة وفيها لفظة « العناية » ، وقد ذكرنا قبل ذلك أن معنى العناية فى اللغة العربية غير معناها فى اللغة الفارسية ولكن اين للمجهول أن يعلم ويتعلم ؟ ..

ثم إننا لا تدرى ماذا يريد من « اللحظات » ؟ لأن اللحظات جمع لحظة بمعنى المرة من اللحظ، ولعله يقصد بها العيون من العين وهو خطأ ، لأن اللحظ بمعنى العين أو باطن العين لا يأتى جمعه لحظات بل جمعه لحاظ وألحاظ كما هو معروف ومعلوم لكل من له أدنى تمسك بكلام العرب ولغتهم .

ومثل هذا ما قاله :

إياك أن تحجبك أحجاب الذين أعرضوا عن
الوجه بعد إذ أشرق عن أفق مشية ربك الرحمن
بسلطان مبين[٢] .

وبصرف النظر عن العبارة المعقدة بألفاظها ومعانيها نسأل ما هى « أحجاب » ، لأن الحجاب لا يكون جمعها إلا الحجب ولا غير ، كما صرح بذلك غير واحد من أصحاب القواميس والمعاجم ـــ انظر التاج والقاموس واللسان وغيرها ـــ

---

(١) « لوح المازندرانى » ص ٤ المنشور فى « الكلمات الإلٰهية » ، طبعة باكستان . .
(٢) المرجع ص ٦

فمن أين لأعجمى مثل هذا أن يصوغ الصيغ كيفما يشاء وحسبما يريد ، ويفسد اللغة ويقبح تراكيبها ويقضى على قواعدها ونظمها .

ولو اعترض عليه أحد قال :

> يا معشر العلماء لا تزنوا كتاب الله بما عندكم من القواعد والعلوم ، إنه لقسطاط الحق بين الخلق قد يوزن ما عند الأمم بهذا القسطاط الأعظم وإنه بنفسه لو أنتم تعلمون(١) .

انظر يا أخى أمر هذا الرجل الذى يدعى الفصاحة والبلاغة ، وأنه هو فارس المعانى والبيان ، وأنه هو سلطان القلم الذى يعجز قلم الكاتب البليغ عن وصف ألواحه التى خضعت لها رقاب الفصحاء وذلت لها أعناق البلغاء ، ثم إنه عند النقد والتحليل قال : لا يعترض عليه ولا يوزن كلامه فى ميزان البحث والتحقيق لأنه رب وإلٰه ، وكلام الإلٰه لا يوزن بكلام المخلوق .

نعم لا يوازن كلام الخالق بكلام المخلوق شريطة أن يكون كلاما للخالق ، لأنه بفصاحته وبلاغته وحسن أسلوبه ومحاورته يكون فى قمة لا تصل إليها أعناق البلغاء والفصحاء فضلا عن العامة والجهلاء .

وحينما يكون الكلام فى الرداءة والركاكة فى مكان لا يتصور صدوره من الجهلة والسوقة ، يدرك أن المتكلم به أسفل من هؤلاء وأتفه منهم ، ففضل كلام الله على سائر الناس كفضل الله على سائر الخلق ، فإنه يمتاز بصحته وغزارته وحسن تنسيقه وترتيبه ، وجمال أسلوبه ومعانيه ومفاهيمه حيث لا يبلغ عشر معشاره كلام أفصح الناس وأعلمهم .

وحينما أمر رسول الله — ﷺ — تعليق أقصر سورة من القرآن « سورة الكوثر » على جدران الكعبة اضطر أفصح العرب إذ ذاك — وهو الوليد بن ربيعة —

---

(١) « الأقدس » للمازندرانى .

على أن يكتب تحتها بعدما شاهد جمال القرآن ورونقه : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ كتب : إن هذا ليس بكلام البشر .

وأما صاحبنا هذا فلا يتكلم بحرف ولا كلمة إلا ويلحن فيه ، فلا تخلو عبارة من عباراته ولا لوح من ألواحه ولا كتاب وكتيب من كتبه وكتيباته من الأخطاء الفاحشة والأغلاط اللفظية والمعنوية .

(ب) لوح المقتدر :

وإليكم بعض الأمثلة الأخرى ، يقول المازندرانى البهاء : « يا عبد ! هل الله هو الفاعل على ما يشاء أو ما سواه ؟ تبين ولا تكن من الصامتين »(١) .

فاستعمل « تبين » ههنا بمعنى « بين » وهو غلط ، لأن تبين لا يأتى بمعنى بين إلا حينما يتعدى إلى مفعول وألا يعطى معنى اللازم غير المتعدى .

ثم لفظة التبين والبين لا تأتى بمعنى تكلم ، لأن التكلم غير الإيضاح والاتضاح والتثبت ، القائل استعملها بمعنى التكلم والتقول بقرينة « ولا تكن من الصامتين » .

وأيضا قوله « الفاعل على ما يشاء » غير صحيح أيضا ، والصحيح الأفصح « والفاعل لما يشاء » ، ولكنه التبس عليه الأمر حيث لم يفرق بين القدرة والفعل ، فالقادر على ما يشاء غير الفاعل على ما يشاء ، فاللغة العربية لها دقائق لا يعرفها إلا المهرة ، فأين للكذابين الدجالين الجهلة أن يعرفوها .

(ج) وكتب فى لوح على : « كل ذلك حيل ومكر وخدع من عند أنفسهم ألا إنهم من الأخسرين »(٢) .

فـ« خدع » لا محل لها بعد حيل ومكر ، لأن جمع الخديعة خدائع لا الخداع كما استعملها .

---

(١) « لوح المقتدر على ما يشاء » ص ٣٠ من مجموعة الكلمات الإلهية .

(٢) نفس المرجع ص ٨٣

وكذلك : نزل من أفق الوحى أمر ربك المبرم العزيز الحكيم »[١] ..

فهذه العبارة تصرخ بأعلى صوت أنها ليست من كلام الله عز وجل ، بل ولا من كلام عاقل عارف باللغة ، لأن فى السطر الواحد أخطاء عديدة وأغلاط فاحشة تعرف بأدنى التأمل أو بالنظرة الأولى ، فإن العرب وغير العرب العقلاء منهم لا يستعملون العزيز الحكيم وصفا للآمر ولا يمكن أن يكون العزيز الحكيم وصفا للرب بعدما جاء المبرم بعد الرب ، ولا يمكن أيضا أن يكون المبرم صفة للرب لأنه لا معنى لها آنذاك .

ثم التعبير لنزول الوحى بقوله : « نزل من أفق الوحى » غلط أيضا ، لأن العرب يقولون نزل الوحى ولم ينقل عنهم على الإطلاق « نزل من أفق الوحى » وتتحدى البهائيين أجمعهم بأن يأتوا نظير هذا فى كلام العرب ، وأولهم وآخرهم ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .

ثم وما معنى « نزل من أفق الوحى » ؟

وعبارة أخرى فى نفس هذا اللوح يمكن أن تكون مثالا لجهله وعقدته النفسية والإهمال الذى يتدفق فى كتاباته وخطاباته ، فانظر إليه ماذا يقول : يا أيها الموهوم إن الباطن وباطن الباطن والباطن الذى جعله الله مقدسا عن الباطن والظاهر إلى ما لا نهاية لها يطوف حول هذا الطاهر[٢] .

فالعبارة صوفية فى ظاهرها ، وحقيقة لا معنى لها بالكلية ، وخاصة قوله « والباطن الذى جعله الله مقدسا عن الباطن والظاهر » مهمل فاسد بتركيبه ومعناه ومفهومه .

ثم قوله بعد ذلك « إلى ما لا نهاية لها » غلط أيضا حسب المعنى والقواعد ، أما المعنى فلا خفاء فى فساده ، وأما القواعد فلا ندرى إلى أى شيء يرجع الضمير فى لها » إن كان رجوعه إلى الظاهر والباطن كان المفروض « لهما » وإن كان رجوعه إلى « مقدسا » كان « له » وأما لها فلا ندرى لِمَ أتى به؟ هل من مخبر يخبر ؟

---

(١) ، (٢) نفس المرجع السابق ، ص ٨٣

ومثال آخر هو قوله فى لوح العالم : عليهما بهاء الله والبهاء من فى السماوات والأرض .

ولذلك يشترط علماء العربية أن يكون الكلام سليما من التعقيد ، بمعنى أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى الذى يراد منه وهو على ضربين :

الضرب الأول : وهو الذى يسميه ابن الأثير المعاظلة المعنوية أن لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد ، وإن كان ثابتا فى الكلام جاريا على القوانين كقول الفرزدق فى مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله فى الناس إلا مملكا ... أبو أمه حىّ أبوه يقاربه

أى وما مثل هذا الممدوح فى الناس حى يقاربه ويشبهه فى الفضائل إلا مملكا أبو أم ذلك المملك أو الممدوح ، فيكون الممدوح خال المملك . والمعنى أنه لا يماثل أحد هذا الممدوح الذى هو إبراهيم بن هشام إلا ابن أخته هشام ، أفسده وعقد معناه وأخرجه عن حد الفصاحة إلى حد اللكنة . وكذلك قوله فى الوليد ابن عبد الملك :

إلى ملك ما أمه من محارب ... أبوه ولا كانت كليب تصاهره

يريد إلى ملك ما أم أبيه من محارب . وقوله :

تعال فإن عاهدتنى لا تخوننى ... نكن مثل من ياذئب يصطحبان

يريد تكن ياذئب من يصطحبان . وقوله :

وليست خراسان الذى كان خالد ... بها أسد إذ كان سيفا أميرها

يريد أن خالد بن عبد الله كان قد ولى خراسان ووليها أسد بعده ، فمدح خالد بأنه كان سيفا بعد أن كان أسد أميرها . فكأنه يقول وليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفا إذ كان أسد أميرها . قال ابن الأثير وعلى هذا التقدير ففى كان الثانية ضمير الشأن والحديث والجملة بعدها أخبر عنها . وقد قدم بعض ما إذ

مضافة إليه وهو أسد عليها . وفى تقديم المضاف إليه أو شيء منه على المضاف من القبح ما لا خفاء به . قال وأيضا فإن أسدا أحد جزأى الجملة المفسرة ، والضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده ، ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير ولما سماه الكوفيون الضمير المجهول ، وعلى نحو ذلك ورد قول الآخر :

فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفرا رسومها قلما

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها ، فقدم خبر كأن وهو خط عليها فجاء مختلا مضطربا . قال فى المثل السائر : وهذا البيت من أقبح هذا النوع لأن معانيه قد تداخلت وركب بعضها بعضا ، على أن ذلك قد وقع لجمع من فحول شعراء العرب كقول امرئ القيس :

هما أخوا فى الحرب من لا أخا له إذا خاف يوما نبوة فدعاهما

يريد أخوا من لا أخوى له فى الحرب . وقوله النابغة :

يثرن الثرى حتى يباشرن برده إذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل

قال أبو هلال العسكرى : وهذا البيت مستهجن جدا ، لأن المعنى تعمى فيه ، يريد يثرن الثرى حتى يباشرن برده بالكلاكل إذا الشمس مجت ريقها . وقول أبى حية النميرى :

كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب أو يزيل

يريد كما خط الكتاب بكف يهودى يوما يقارب أو يزيل . وقول ذى الرمة :

نضا البرد عنه وهو من ذو جنونه أجارى صهال وصوت مبرسم

يريد وهو من جنونه ذو أجارى ، قال فى الصناعتين كأنه تخليط كلام مجنون أو هجر مبرسم . وقول السماح :

تخامص عن برد الوشاح إذ أمست تخامص حافى الخيل فى الأمعز الوجى

يريد تخامص حافى الخيل فى الوجى الأمعز . قال أبو هلال العسكرى وليس للحدث أن يجعل هذه الأبيات حجة ويبنى عليها ، فإنه لا يعذر فى شيء منها لإجماع الناس اليوم على مجانبة أمثالها واستجادة ما يصح من الكلام ويستبين ،

واسترذال ما يشكل منه ويستبهم . وقد كان عمر رضى الله عنه يمدح زهيرا بأنه لم يكن يعاظل بين الكلام . قال فى المثل السائر : والفرزدق أكبر الشعراء تعاظلا وتعقيدا فى شعره ، كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده ، لأن مثله لا يجىء إلا متكلفا مقصودا . وإلا فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على سجيتها وطبعها فى الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد ، بدليل أن المقصود من الكلام معدوم فى هذا النوع ، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى ، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ، ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما(١) ..

(ج) لوح الأقدس :

يقول فى لوح آخر :

« وفى كل لوح عما يخرج من فمه سر ما يحيى به العالمون » ..

فهل هناك عربى يفهم ما يقوله هذا الأعجمى الجهول ؟

فاللغات كلها عربية كانت أم فارسية ، أردية كانت أم تركية ، وإنجليزية كانت أم فرنساوية ، شرقيتها وغربيتها ليست اسما لتركيب الألفاظ وربط الجمل وجمع الحروف هنا وهناك ، بل لها قواعد وأساليب ، ولها محاورات واستعمالات ، وليس لأحد أن يلعب بكلماتها وألفاظها وحروفها ويدعى أنه يعرف تلك اللغات و حذق فيها ومهر ، بل وأكثر من ذلك ينبرى ويتحدى أهل تلك اللغات ويتفاخر ويتباهى عليهم ، فلا يغرنه أن يغتر بمهزلته أحد إلا من جهل أو جن جنونه ، أو طار عقله أو اختلت حواسه .

ثم وبماذا يجيب الجلياتيجانى وأتباعه المعترضون على كلام الميرزايحيى صبح الأزل ، والمستدلون به أنه ليس بنبى ولا رب لأن الرب لا يغلط ويكون كلامه

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١

منزها عن النقص والعيب ومبرءا من اللحن والخطأ — كما مر ذلك آنفا — ماذا يقولون فى كلام حسين على البهاء المازندرانى ، المملوء باللحن والفساد اللفظى والمعنوى وركاكة الأسلوب وضعف التعبير كأستاذه ومرشده إلى النار ، أى محمد على الباب الشيرازى بفرق أن الأول أفحش خطأ وأظهر لحنا ، حيث لم تتح له الفرص بلقاء العرب والسكن معهم وبينهم ، ولم يحصل له المنقحون والمصححون خلاف الآخر ، فإنه سكن فيهم وعاشرهم مدة طويلة وحصل له من يصفى عباراته من الأغلاط ويصححها ، ومع ذلك لم يتمكن من العربية ولم يتمكنوا من التصحيح الكلى ، وأراد الله من وراء ذلك إفضاحهم وإظهار كذبهم وعارهم ، وكان الله على ذلك قديرا .

(د) لوح العالم :

وجاء فى لوح العالم قوله :

« عليهما بهاء الله ، والبهاء من فى السموات والأرضين ، النور والبهاء والتكبير والثناء على أيادى أمره الذين بهم أشرق نور الاصطبار ، وثبت حكم الاختيار ، لله المقتدر العزيز المختار »[١] ..

فما معنى التكبير على أيادى أمر الله ، وما المناسبة بين التكبير والثناء والنور والبهاء ؟

وأيضا :

« يشهد بذلك أم البيان فى المآب نعيما للسامعين »[٢] ..

فما معنى أم البيان ، وماذا يقصد من قوله فى المآب ؟

---

(١) « لوح العالم » ص ٢١٣ ، ٢١٤ من مجموعة الألواح للمازندرانى .
(٢) « تجليات » للمازندرانى ، ص ٢٠٩

ويقول :

جرى من بيانه كوثر الحيوان لأهل الإمكان تعالى هذا الفضل الأعظم وتباهى هذا العطاء المبين .. وأنزل لكم ما تبقى به أذكاركم وأسماؤكم فى كتاب لا يأخذه المحو ولا تبدله شبهات المغرضين(١) .

« تعالى هذا الفضل الأعظم » — و — « تباهى هذا العطاء المبين » .

أية لغة هذه ومَن من العرب يتكلم بمثل هذا ؟ ثم وما هى التأنيث فى « تبقى » ؟ وما معنى « تبقى أذكاركم » ولعله يقصد من ذلك « ذكرياتكم » ..

ثم وما معنى قوله :

كتاب لا يأخذه المحو ولا تبدله شبهات المغرضين »

فهل هناك شبهات تبدل الكتب أم ماذا ؟ أيخبرنا أحد أم نخبره نحن .

ويقول :

قل موتوا بغيظكم إنه أتى بأمر لا ينكره ذو بصر وذو سمع وذو دراية وذو عدل وذو إنصاف يشهد بذلك قلم القدم فى هذا الحين المبين(٢) ..

ونلاحظ على هذه العبارة :

١ — استعمل « أمر » نكرة وحقها التعريف لأنه يريد بالأمر شريعته ودينه .

٢ — أتى بالتكرار القبيح المشين حيث قال : « ذو بصر وذو سمع وذو دراية وذو عدل وذو إنصاف » وكان « ذو » الواحد كافيا لأداء المعنى وأحسن وأجمل .

---

(١) « الكلمات الفردوسية » للمازندرانى ، ص ٣٨

(٢) « إشراقات » للمازندرانى ، الإشراق الثامن ، ص ١٤٢

٣ — « الحين » لا توصف « بالمبين » ولا معنى لها وما أتى بها صاحبنا إلا للسجع والقافية غير ناظر إلى المفهوم والمعنى رغبة فى المنافسة للقرآن ، كتاب الله العظيم — وشتان ما بينهما — و ﴿ أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ .

وأيضا يقول :

كذلك ينصحكم لسان الله لعل أنتم إلى شطر الروح تقصدون(١) :

فانظر إلى الفقرات (لسان الله) بدل (الله) و (لعل أنتم) بدل « لعلكم » و « شطر الروح » وما ندرى ما هو شطر الروح ولعله هو أيضا لا يدريه .

ويقول فى الرسالة السلطانية :

« والذى لا يرى لنفسه الحياة فى أقل من آه ، هل يريد الدنيا فيا عجبا من الذين يتكلمون بأهوائهم وهاموا فى برية النفس والهوى سوف يسئلون عما قالوا يومئذ لا يجدون لأنفسهم حميما ولا نصيرا »(٢) ..

ومن كلام البهاء الفارغ من كل معنى :

« يا ابن الإنسان ... إلى متى تكون راقدا على بساطك ؟ ارفع رأسك عن النوم . إن الشمس ارتفعت فى وسط الزوال ولعل تشرق عليك بأنوار الجمال »(٣) ..

ألمثل هذا يقال إنه وحى وإلهام ؟

---

(١) « بدائع وصنائع » للمازندرانى ، ص ٩١

(٢) « الرسالة السلطانية » للمازندرانى ، ص ٣

(٣) « الكلمات المكنونة » للمازندرانى ، ص ٥٢

وأيضا :

يا ابن الجمال وروحى وعنايتى ، ثم رحمتى وجمالى ، كلما نزلت عليك من لسان القدرة ، وكتبته بقلم القوة ، قد نزلنا على قدرك ولحنك لا على شأنى ولحنى(١) ..

وأيضا :

« إنا كنا شهداء على ما فعلوا وحينئذ كانوا يفعلون »(٢) .

وأيضا :

« يا ابن الروح أيقن بأن الذى يأمر الناس بالعمل ويرتكب الفحشاء فى نفسه أنه ليس منى ، ولو كان على اسمى ، يا ابن الوجود لا تنسب إلى نفس ما لا تحبه لنفسك ولا تقل ما لا تفعل هذا أمرى عليك فاعمله »(٣) ..

وأيضا :

قد اتخذوا الظنون لأنفسهم أربابا من دون الله ولا يفقهون(٤) ..

وأيضا :

« إن الذين نكثوا عهد الله فى أوامره ، ونكثوا على أعقابهم أولئك من أهل الضلال لدى الغنى المتعال »(٥) ..

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٥٤ (٢) نفس المرجع ، ص ٣٣
(٣) نفس المرجع ، ص ٤٦ (٤) « إشراقات » للمازندرانى ، ص ١٠٢
(٥) « الأقدس » للمازندرانى .

ونختم القول بلوحه « هو الباقى » :

كلام الله ولو انحصر بكلمة لا تعادله كتب
العالمين ... هذا لوح امتزج بملح الله إذ ذقت قم وقل
لك الحمد يا إلـه العالمين لو تمزج فى السجن
لا تعجب لأن الأحزان ما أخذتنا فى سبيل
ربك(١) ..

فهذا هو الرجل وهذه هى لغته ، وتلك أفكاره وذلك علمه وهذه هى معرفته . ولقد علمنا بقول الجلباتيجانى الداعية الأكبر للبهائيين حيث ذكر « كتاب صبح الأزل » شقيق المازندرانى ونشره كى يعرف الناس قدر الرجل وكتابه « لأن الأثر يدل على المؤثر » كما نقل فى مجموعة الرسائل(٢) ..

أما الضرب الثانى من التعقيد فى الكتب التى يزعم البهائيون قداستها ، فهو ما يعنى به علماء العربية بقولهم أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد بخلل فى انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم وبحسب اللغة إلى الثانى المقصود لإيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصود ، كقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يريد أنى أطلب بعد الدار عنكم لتقربوا منى ، وتسكب عيناى الدموع لتجمد وتكف الدمع بحصول التلاق . والمعنى أنى طبت نفسا بالبعد والفراق ، ووطنت نفسى على مقاساة الأحزان والأشواق ، وأتجرع الغصص ، وأحتمل لأجلها حرقا يفيض الدموع من عينى لأتسبب بذلك إلى وصل يدوم ومسرة لا تزول ، فتجمد عينى ويرقأ دمعى ، فإن الصبر مفتاح الفرج . فكنى بسكب الدموع عن الكآبة والحزن وهو ظاهر المعنى لأنه كثير ما يجعل دليلا عليه . يقال

(١) « لوح هو الباقى » للمازندرانى ، ص ٢١

(٢) « مجموعة رسائل » للجلبا تيجانى ، ص ١٤٧

أبكانى الدهر وأضحكنى بمعنى ساءنى وسرنى ، وكنى بجمود العين عما يوجبه دوام التلاقى من الفرح والسرور ، فإن المتبادر إلى الذهن من جمود العين بخلها بالدمع عند إرادة البكاء حال الحزن ، بخلاف ما قصده الشاعر من التعبير به عن الفرح والسرور ، وإن كانت حالة جمود الدمع مشتركة بين بخل العين بالدمع عند إرادة البكاء وبين زمن السرور الذى لم يطلب فيه بكاء . وكذلك يجرى القول فى كل لفظ مشترك ينتقل الذهن فيه من أحد المعنيين إلى الآخر إذا لم يكن هنالك قرينة تصرفه إلى أحدهما كما صرح به الرمانى وغيره ، خصوصا إذا كان أحد المعنيين الذى يدل عليه اللفظ المشترك مستقبحا كما ينبه عليه ابن الأثير فى الكلام على فصاحة اللفظ المفرد . ألا ترى أن لفظة التعزيز مشتركة بين التعظيم والإكرام ، وبين الإهانة بسبب الخيانة التى لا توجد الحد من الضرب وغيره . والمعنيان ضدان فحيث وردت معها قرينة صرفتها إلى معنى التعظيم ، جاءت حسنة رائقة ، وكانت فى أعلى درجات الفصاحة . وعلى نحو ذلك ورد قوله تعالى ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾ ، وقوله ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ﴾ الآية . لما ورد معها قرينة التوقير فى الآية الأولى ، وقرينة الإيمان والنصر فى الآية الثانية زال اللبس وحسن الموقع . ولو وردت مهملة بغير قرينة بإرادة المعنى الحسن لسبق الفهم إلى المعنى القبيح ، كما لو قلت عزر القاضى فلانا وأنت تريد أنه عظمه ، فإنه لا يتبادر من ذلك إلى الفهم إلا أنه أهانه .. وعلى هذا النهج يجرى الحكم فى الحسن والقبح مع القرينة وعدمها . قال ابن الأثير رحمه الله : فما ورد مع القرينة فجاء محسنا قول تأبط شرا :

أقول للحيات قد صفرت لهم ... وطابى ويومى ضيق الجحر معور

فإنه أضاف الجحر إلى اليوم فأزال عنه هجنة الاشتباه ، لأن الجحر يطلق على كل نقب كجحر الحية واليربوع ونحوهما ، وعلى المحل المخصوص من الحيوان . فإذا ورد مهملا بغير قرينة تخصصه سبق إلى الفهم المعنى القبيح لاشتهاره دون

غيره . وما ورد مهملا بغير قرينة قبيحا قول أبى تمام :

أعطيتنى دية القتيل وليس لى　　　عقل ولا حتى عليك قديم

فإن المتبادر إلى الأفهام من قوله وليس لى عقل ، أنه من العقل الذى هو ضد الجنون . ولو قال وليس لى عليك هذا عقل لزال اللبس . قال فيجب إذًا على صاحب هذه الصناعة أن يراعى فى كلامه مثل هذا الموضع .

فماذا يمكن أن نرى من ألوان التعقيد اللغوى والحبسة اللغوية فى كتب البهائيين ؟

هـ ـ لوح سوم :

ـ ويقول البهاء فى لوح سوم[1] :

ترى عبادك وأرقائك .

أرقائك منصوب لأنه معطوف على الشعوب .. لكن البهاء يجره برسم الهمزة على ياء .. وذلك خطأ ما بعده من خطأ ..

ويقول البهاء أيضا :

.. أسألك يا من بيدك زمام الممكنات وفى قبضتك ملكوت الأسماء والصفات بأن لا تحرم عبادك من أمطار سحاب رحمتك فى أيامك ولا تمنعهم عن رشحات بحر رضائك . أى رب وقد شهدت الذرات بقدرتك وسلطانك والآيات بعظمتك واقتدارك فارحم يا إلٰه العالم ومالك القدم وسلطان الأمم عبادك الذين تمسكوا بحبل أوامرك وخضعوا عند ظهورات أحكامك من سماء مشيتك ..

وما أسوأ هذه البلاغة التى تأتى برشحات والذرات وظهورات الأحكام ..

---

(١) ص ٥١ لوح سوم

ويقول البهاء أيضا فى لوح ششم :

..سبحانك اللهم يا إلٰهى أسألك بالذين جعلت صيامهم فى حبك ورضائك وإظهار أمرك واتباع آياتك وأحكامك وإفطارهم قربك ولقائك. فوعزتك إنهم فى أيامهم كلها صائمون وإلى شطر رضائك متوجهون ولو يخرج من فم إرادتك مخاطبا إياهم باقون صوموا حبا لجمالى ولا تعلقه بالميقات والحدود. فواعزتك هم يصومون ولا يأكلون إلى أن يموتون لأنهم ذاقوا حلاوة ندائك وذكرك وثنائك وكلمة التى خرجت من شفتى مشيتك..

كذلك (لقاءك) فى هذا النص منصوب ولكنه عند البهاء مجرور، مع أنه معطوف على (قربك) المنصوب..

وما أسوأ (فم الإرادة)، (وشفة المشيئة)..

وقوله (إلى أن يموتون) خطأ نحوى فاحش، والصواب « إلى أن يموتوا » وأسلوب (وكلمة التى خرجت.. إلخ) عامى مرذول..

ويقول البهاء كذلك :

أى رب أسئلك بنفسك العلى الأعلى، ثم يطهروك كرة أخرى الذى به انقلب ملكوت الأسماء وجبروت الصفات وأخذ السكر سكان الأرضيين والسموات والزلزال من فى ملكوت الأمر والخلق إلا من صام عن كل ما يكرهه رضاك، وأمسك نفسه عن التوجه إلى ما سواك، بأن تجعلنا منهم وتكتب أسمائنا فى لوح الذى كتبت أسمائهم، وإنك يا إلٰهى ببدايع قدرتك وسلطنتك وعظمتك انشعبت أسمائهم من..

« كل ما يكرهه » ماذا فى هذا الكلام من البلاغة ؟ إنه كلام أشبه بكلام المجانين ..

وقوله « لوح الذى كتبت أسمائهم » خطأ ، لأن همزة أسماء منصوبة ، وهو هنا يجرها بالكسرة ..

ويقول البهاء فى لوح دوم قوله تعالى :

هو الأقدس الأعظم الأعلى .. سبحانك اللهم ياإله العالم ومالك الأمم ، أشهد أنك لم تزل كنت مقدسا عن ذكر الكائنات ، ومنزها عن أعلى وصف الممكنات ، كلما أراد المخلصون الصعود إلى عرفانك اطردهم جنود علمك ، وكلما أراد المقربون الورود إلى سماء قربك منعتهم سطوة بيانك ..

قوله تعالى : يريد قول البهاء ، ويصفه بالعلو .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . لم تزل كنت مقدسا .. ما أسوأ هذه الصياغة وذلك الأسلوب ..

ذلك الأسلوب الذى لا يستقيم مع البيان العربى ، ولا يستقيم حتى مع ما يستهجنه علماء العربية ، ذلك أن الأسلوب البهائى حافل بأسوأ صور تنافر الكلمات والتى يقصد بها أن يكون فى الكلام ثقل على اللسان ويعسر به النطق على المتكلم . وإليه ذهب السكاكى وغيره من علماء البيان وهو على ضربين :

الضرب الأول : أن يكون فيه بعض ثقل كقول أبى تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معى وإذا ما لمته لمته وحـــدى

فقوله أمدحه فيه بعض الثقل على اللسان فى النطق به ، وذلك أن الحاء والهاء متقاربتان فى المخرج وقد اجتمعتا فى قوله أمدحه ، ثم تكررت الكلمة فى البيت مع تقارب مخارج الحرفين فثقلت بعض الثقل . وأول من نبه على ذلك : الأستاذ ابن العميد رحمه الله . ومما يحكى فى ذلك أن الصاحب بن عباد أنشد هذا البيت بحضرة ابن العميد فقال له ابن العميد : هل تعرف فى هذا البيت شيئا من السجنة ؟ فقال : نعم ، مقابلة المدح باللوم ، وإنما يقابل المدح بالذم والهجاء . فقال له ابن العميد : غير هذا أريد . قال : لا أرى غير ذلك . فقال ابن العميد : هذا التكرير فى

أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل التنافر . فاستحسن الصاحب ابن عباد ذلك . قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح تلخيص المفتاح : ولا يجوز أن يراد أن الثقل فى لفظة أمدحه دون تكرار ، فإن مثل ذلك واقع فى التنزيل نحو قوله تعالى (فسبحه) ، والقول باشتمال القرآن على كلام غير فصيح مما لايجترئ عليه المؤمن ..

الضرب الثانى : ما كان شديد الثقل بحيث يضطرب لسان المتكلم عند إرادة النطق به كقوله :

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

قال ضياء الدين بن الأثير : والسبب فى ثقل البيت تكرير حرفى الباء والراء فيه ، فهذه الباآت والراآت فيه كأنها سلسلة ، ولا خفاء بما فى ذلك من الثقل . قال : وكذلك يجرى الحكم فى كل ما تكرر فيه حرف أو حرفان ، إلا أنه لم يطلق على ذلك اسم التنافر ، وجعل التنافر قسما مستقلا برأسه كما سيأتى ، وعد هذا من أنواع المماثلة اللفظية ثم ذكر من أمثلته قول الحريرى فى مقاماته :

أزور من كان له زائرا   وعاف عافى العرف عرفانه

وقول كشاجم :

والزهر والقطر فى رباها   ما بين نظم وبين نثر

حدائق كف كل ريح   حل بها خيط كل قطر

وقول الآخر :

طلت مطال مولود مفدى   مليح مانع منى مرادى

وقول المتنبى :

كيف ترى التى ترى كل جفن   رآها غير جفنها غير واق

وعاب بيت الحريرى لتكرار العين فيه فى قوله « وعاف عافى العرف عرفانه » وعاب البيت الثانى من بيتى كشاجم لتكرار الكاف فيه فى كف وكل الأولى وكل

الثانية ، وقال : هذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه فى شدقه حتى يديره له . وعاب البيت الذى يليه لتكرر الميم فيه فى أوائل الكلمات ، وقال : هذه الميمات كأنها عقدة متصلة بعضها ببعض . وعاب بيت المتنبى لتكرر الجيم والراء فى أكثر كلماته ، وقال : هذا وأمثاله إنما يعرض لقائله فى نوبة التسرع التى تنوبه فى بعض الأيام . قال : وكان بعض أهل الأدب من أهل عصرنا يستعمل هذا القسم من المماطلة كثيرا فى كلامه نثرا ونظما ، وذلك لعدم معرفته لسلوك الطريق كقوله فى وصف رجل منحى : « أنت المريح كبد الريح ، والمليح إن تجهم المليح بالتكليح عند سائل يلوح ، بل تفوق إذ تروق مرأى يوح ، يا مغبوق كأس الحمد يا مصبوح ، ضاق عن نداك اللوح ، وببابك المفتوح ، يستريح ويريح ذو التبريح ويرقه الطليح » . فانظر إلى حرفى الراء والحاء كيف لزمهما فى كل لفظة من هذه الألفاظ ، فجاء على ما تراه من الثقل والغثاثة .

ومن هذا النص العربى القديم الذى أورده القلقشندى وضياء الدين بن الأثير ، يتضح لنا ارتباط الصرع والأمراض العقلية أو النفسية بالحبسة اللغوية ، وكأنهم قد سبقوا علماء النفس المحدثين إلى هذا الكشف العلمى ، فماذا كانوا يقولون عندما يقرأون هذيان الكتب البهائية التى يزعمون أنها مقدسة ؟. ولنقرأ ما يقول البهائيون :

ثالثا : تسبيح وتهليل

« ويقول فى تسبيح وتهليل » .

صورت مناجات قبل ازتكبيرات اكرميت زن باشد .

قوله تعالى :

يا إلٰهى هذه أمتك وابنة أمتك التى آمنت بك وبآياتك وتوجهت إليك منقطعة عن سواك . وإنك أنت أرحم الراحمين . أسألك يا غفار الذنوب وستار العيوب بأن تعمل بها ما ينبغى لسماء جودك وبحر أفضالك ، وتدخلها فى جوار رحمتك الكبرى التى سبقت الأرض والسماء لا إلٰه إلا أنت الغفور الكريم .

وانظر إلى ألفاظه : صورت بدلا من صورة ـــ مناجات بدلا من مناجاة إنه كلام البهاء السخيف الذى لا سخف بعده ..

وفى ص ٤١ ، من (تسبيح وتهليل) يقول البهاء :

تكبيرات وأذكار
الله أبهى
وإنا كل لله عابدون
إنا كل لله ساجدون
إنا كل لله قانتون
إنا كل لله ذاكرون
إنا كل لله شاكرون
إنا كل لله صابرون

إن مثل هذه الأساليب لا تربطها بالبلاغة ولا بالذوق حيلة ..

ويقول البهاء أيضا فى « تسبيح وتهليل » ص ٢٧١ :

زيارات متصاعدين إلى الله أز ذكور وإناث جمال قدم جل جلاله در لوحى ميفرمايند، قوله تعالى :

وأردنا أن نذكر أولياء الله وأحبائه الذين صعدوا إلى الرفيق الأعلى من الذكور والإناث . إن ربك هو الفضال الغفور الرحيم .

البهاء الذى أشرق من أفق سماء العطاء عليكم يا أهل البهاء، أنتم الذين ما نقضتم ميثاق الله وعهده أقبلتم واعترفتم بظهوره وعظمته وسلطانه وقوته وقدرته واقتداره . طوبى لكم ونعيما لكم بما فزتم بآثار القلم الأعلى قبل صعودكم وبعد صعودكم إلى الأفق الأعلى . نسئل الله أن يغفر لكم ويكفر عنكم سيئاتكم وينزل عليكم من سحاب سماء كرمه أمطار رحمته، ويقدر لكم ما يزينكم بطراز الفرح والابتهاج إنه هو المقتدر .

قوله واحبائه منصوب ، ومع ذلك وضع الهمزة على ياء على أنها مجرورة .
قوله طراز الفرح من العى الفاحش ..
ويقول البهاء :

لكل عبد من عبادك ما يجعله راضيا عنك ومقبلا إليك ومستقيما على أمرك وشاربا رحيق الوحى بيد عطائك وطائرا فى هواء عشقك وحبك على شأن يرى ما سويك معدوما عند إشراق شمس ظهورك، ومفقودا لدى تجليات أنوار وجهك . أى رب فاكتب لأحبتك من قلمك الأعلى الذى لا يأتيه المحو خير الآخرة والأولى . وإنك أنت مالك العرش والثرى ، والظاهر والناظر من أفقك الأبهى . لا إله إلا أنت الفرد الواحد العليم الخبير .

قوله مستفهما على أمرك أسلوب من أساليب العامية المرذول ، وأسلوب النص كله أسلوب .

ويقول أيضا :

نشهد أن لا إلـٰه إلا هو إقرارا لوحدانيته ، اعترافا بفردانيته ، لم يزل كان فى علو امتناعه وسمو ارتفاعه مقدسا عن ذكر غيره ، ومنزها مستغنيا عن وصف ما سوئه . فلما أراد نظم العالم وإظهار الجود والكرم على الأمم شرع الشرايع وأظهر المناهج ، وفيها من سنة النكاح وجعله حصنا للنجاح والفلاح ، وأمرنا به فيما نزل من ملكوت المقدس فى كتابه الاقدس قوله عز كبريائه : « تزوجوا يا قوم ليظهر منكم من يذكرنى بين عبادى . هذا من أمرى عليكم اتخذوه لأنفسكم معينا ، ونصلى ونسلم على البيان من أهل البهاء الذين بذلوا جهدهم فى ارتفاع هذا الدين المبين ، وما أخذتهم فى الله لومة اللائمين ، والحمد لله رب العالمين .

قوله (فردانيته) أسلوب عامى سطحى .

بذلوا جهدهم فى ارتفاع هذا الدين ، أسلوب الأطفال الذى لا يحرمون على تعد .

ويقول فى ص ٢٧٣ من كتابه « تسبيح وتهليل » :

على أمرك الذى به ارتعدت فرائص العلماء ، واضطربت أفئدة الفقهاء ، وزلت أقدام الحكماء ، إلا الذين أنقذتهم أيادى ألطافك . إنك أنت المقتدر على ما تشاء لا إلـٰه إلا أنت الفرد الواحد المهيمن القيوم .

(لوح ابن أحمد ازغندى)

(٢) قال إلٰهى إلٰهى ندائك اجتذبنى ، وفضلك أنقذنى ، وآياتك أخذتنى ، ونور أمرك هدانى إلى صراطك المستقيم . أسئلك بأمواج بحر بيانك وتجليات شمس ظهورك ، بأن تجعلنى فى كل الأحوال ثابتا على أمرك وراسخا فى حبك . أى رب أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، قد أقبلت إلى أفقك الأعلى والذروة العليا ، أسئلك بأن لا تخيبنى عما قدرته لأصفيائك فى أيامك .

قوله : أيادى ألطافك استعارة رديئة .

قوله : أمواج بحر بيانك ما أحمقها من استعارة .

ويقول فى « تسبيح وتهليل » ص ٢٢٥ :

هو المهيمن على الأسماء .

إلٰهى إلٰهى كيف أختار النوم وعيون مشتاقيك ساهرة فى فراقك ، وكيف أستريح على الفراش وأفئدة عاشقيك مضطربة من هجرك . أى رب أودعت روحى وذاتى فى يمين اقتدارك وأمانيك ، وأضع رأسى على الفراش بحولك وأرفع عنه بمشيتك وإرادتك . إنك أنت الحافظ الحارس المقتدر القدير . وعزتك لا أريد من النوم ولا من اليقظة إلا ما أنت تريد . أنا عبدك وفى قبضتك أيدنى على ما يتضوع به عرف رضائك . هذا أملى وأمل المقربين . الحمد لك يا إلٰه العالمين .

هذا الفصل شبيه بإنشاء الأطفال ، والحرص على الاستعارات الغريبة والألفاظ السخيفة حرص دائم . وهو أسلوب العصر القديم الذى ولى وذهب ..

ويقول فى « تسبيح وتهليل » أيضا ص ٢٧٥ :

سبحانك يا مالك الملكوت ، وسلطان الجبروت ، أسئلك باسمك الذى لو يلقى على الجبل ليطير ، ولو على السماء لتنفطر ، ولو على الأرض لتنشق ، بأن تحفظنا من سهام إشارات المغلين ، وسيوف شبهات المشركين ، إنك أنت الذى لا تعجزك شئونات الأرض ، ولا تمنعك ضوضاء الذين كفروا بيوم الدين. أى رب نحن عبادك سمعنا ندائك الأحلى ، وأجبناك فضلا من عندك يا مالك الأسماء وفاطر السماء. وسرعنا بحولك واسمك الأبهى إلى أفقك الأعلى فى يوم فيه ناحت قبائل الأرض ، وصاحت أفئدة العباد. أسئلك يا ملك الملوك بأنوار عرشك الأعظم ، وتجليات اسمك بين الأمم بأن تؤيدنا على ذكرك وثنائك ، وتكتب لنا من قلم الفضل ما ينبغى لجودك وألطافك ، إنك أنت المقتدر على ما تشاء فى قبضتك زمام الأشياء.

انظر إلى (سهام إشارات .. إلخ) .. و(سيوف شبهات) من الاستعارات الرديئة ..

وشئونات لفظة غير صحيحة ولا فصيحة ..

(ندائك : لا تكتب الهمزة على ياء هنا)

ويقول أيضا فى كتاب « تسبيح وتهليل » ص ١١٨ :

ضياء قدس ذاتيتك فتعالى من هذا اليوم الذى فيه تجليت على الممكنات بتجليات أنوار عزفردانيتك ، واستشرقت على الموجودات بظهورات قدس وحدانيتك ، وفيه كشفت حجبات الستر عن وجه جمالك ، وأخرقت سبحات الوهم عن وجه الخلق بعنايتك ، ودعوت الكل إلى وصلك ولقائك ،

فتباهى من هذا اليوم الذى فيه تموجت أبحر العزم والفضل، وجرت أنهار الجود والعدل، واسترق الجود إلى مقام الذى قام كل بكم بثناء نفسك، وكل عمى بملاحظة أنوار جمالك، وكل صمم لاستماع نغمات عز ورقاء أحديتك، وفيه استغنى كل فقر ببدايع عز غنائك، واستعز كل ذليل بظهورات عزك واعتزازك، وشرب كل عاصى عن خمر غفرانك، وكل سقيم عن أبحر جود شفائك، ودخل كل ما يوسر فى ظل سدرة رجائك وإنعامك.

انظر إلى (ظهورات) جمعا .. وهو مصدر لا يجمع، وإلى قوله (حجبات) جمعا أيضا وهو خطأ، إذ لا يجمع الجمع قياسا بل سماعا فقط ..

قام كل بكم بثناء: أسلوب ضعيف.

وانظر إلى: نغمات عز ورقاء أحديّتك ..

وإلى: شرب كل عاص من خمر غفرانك ..

والصواب: من لا عن.

وإلى: أبحر جود شفائك ..

إنه أسلوب العصر العثمانى فى عصر ضعف اللغة العربية واضطرابها.

الفصـل الثـانى

الأخطاء اللغوية فى كتاب البيان

— ١ —

يمكن أن يفيد المنهج اللغوى فائدة عظيمة فى الكشف عن المنهج الفكرى البهائى، وذلك بدءًا من مؤسس البابية إلى مؤسس البهائية، وانتهاء بتابعيه. فالشيرازى المولود فى أول المحرم سنة ١٢٣٥ هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ على أصح الأقوال، والمسمى «على محمد» لم يكن من آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، كما زعم هو بعد ذلك.. إذ أن الكتاب والمؤرخين والبابيين والبهائيين أنفسهم يلقبونه فى كتاباتهم بلقب «المرزة»(١). مع أن المعروف فى إيران وبلاد العجم ألا يطلق على من ينتسب إلى أهل بيت النبى لفظ «مرزة» وغيره، اللهم إلا «السيد» على الإطلاق ولا غير، ويبدو أن اختراع نسبته إلى أهل البيت قد جاء ليوافق الروايات التى تميز أن المهدى يكون من آل البيت(٢).

ويخبرنا تاريخ حياة «المرزة» بإصابته بالاضطراب فى الشخصية منذ طفولته، الأمر الذى أدى إلى اقتران هذا الاضطراب بأمراضه اللغوية التى ظهرت فيما كتب أو قال من بعد. إذ بعد وفاة والده البزاز كفله خاله المرزة (على) أحد التجار فى شيراز، ولما بلغ السادسة من عمره عهد به خاله إلى الشيخ عابد، أحد تلاميذ السيد كاظم الرشتى، وكان المعلم يسمى مدرسته «قهوة الأنبياء والأولياء»(٣) واسم هذه المدرسة يوحى على الفور بإصابة معلميها وتلاميذها على السواء بالاضطراب فى الشخصية المقترن بأمراض اللغة..

وتشير بعض المراجع إلى أن معلما آخر اسمه «محمد» كان يعلم الباب ويضربه لما لاحظ من هذا الاضطراب فى شخصية «المرزة»، الذى قال عنه من بعد فى بيانه العربى «أن يا محمد لا تضربنى فوق حد معين»(٤). ذلك أن إصابته

---

(١)، (٢) إحسان إلٰهى ظهير: البابية عرض ونقد، ص ٥٤

(٣) المرجع السابق ص ٥٤، الكواكب ص ٣٠، ٣١

(٤) البيان: باب ١١ من الواحد، ص ٦

بالأفازيا Aphasia قد أدت إلى العزوف عن الدرس، وجاء محصوله قليلا من العربية والنحو الفارسى، ولم يشف هذا المحصول القليل من اختلال الوظائف اللغوية الذى ظهر فى إصابته « بالأفازيا » فتفككت لديه الوظيفة اللغوية، وأصبح البناء العقلى للوجود مزعزعا تماما فى صميم كيانه، كما يتضح من سيرة حياته من بعده إذ لم يواصل تعليمه بعد التعليم الأولى، وعمل مع خاله فى التجارة، وفى السابعة عشرة من عمره اتصل به أحد تلامذة الرشتى، الذى وجد فيه — بمقوماته هذه التى أسفرت عن ظاهرة الأفازيا واختلال الوظيفة اللغوية والبناء العقلى — ضالته المنشودة، فألقى فى روعه أنه الغائب المنتظر، والموعود المزعوم، وأنه « يظهر من سيماه ومحياه أنه هو ذلك الموعود الذى أخبر بقرب ظهورة الرشتى، ومن قبله الأحسائى »(١).

وهيأت « الأفازيا » للغلام الشيرازى أنه ذلك الموعود، فاتجه ببنائه العقلى المزعزع إلى الكتابات التى صدرت عن أشباهه فى القديم من الذين أصيبوا بالأفازيا، ونعنى الكتب الباطنية المنحرفة، وكتب الحروفيين التى تبحث عن الأرقام وتأثيرها، بحثا « أفازيا » إن جاز التعبير، فإذا به يعيش فى عالم متصدع غير متسق فى كل معيشته. ويجد نفسه مضطرا إلى الاكتفاء بأسلوب باطنى، فكان يقف أحيانا فى حر الظهيرة المحرقة تحت أشعة الشمس على سطح البيت عارى الرأس، مكشوف البدن، مستقبلا قرصها، متحملا حرارتها ساعات وساعات، حتى كان يعتريه الذهول والوجوم، وقد تأثر عقله(٢).

وهذا الأسلوب الذى لجأ إليه يمثل نوعا من أنواع الفصام schizophrenie « الكاتاتونيا » Catatonia.

---

(١) الكواكب الدرية فى مآثر البهائية، ص ٣٤ طبعة فارس. — إحسان إلٰهى ظهير: السابق، ص ٥٥

(٢) « مطالع الأنوار » ص ٧٧ ط إنجليزى. و « دائرة المعارف الإسلامية » ص ٢٢٧ ج ٣ و د. إحسان إلٰهى ظهير: السابق، ص ٥٧

وهذا النوع يظهر غالبا ما بين سن ١٥ و٢٥ سنة، وهى المرحلة التى سلك فيها الميرزة هذا الأسلوب الكاتاتونى منذ تلقفه أحد تلامذة الرشتى وهو فى السابعة عشرة من عمره. ويذهب علماء النفس إلى أن ظهور هذا النوع من أنواع الفصام العقلى يكثر ظهوره بشكل حاد كنتيجة لاضطراب انفعالى شديد، وتدلنا سيرة الشيرازى أنه قد عانى من هذا الاضطراب الانفعالى الشديد، كنتيجة لتحريض الطباطبائى له، والذى لازمه ستة أشهر فى بيته بعد أن اعتراه الذهول والوجوم وتأثر عقله، وهيج أشواقه إلى ممارسة الأسلوب الباطنى الشاق، ومقابلة الرشتى بكربلاء لاستكمال فنون هذا الأسلوب الباطنى، فحن حنوه، ولا سيما بعد أن أرسله خاله إلى النجف وكربلاء للاستشفاء[1]. إذ زار فى كربلاء مدرسة ترجمان الحكماء المتألهين، ولسان العرفاء المتكلمين، العالم بأسرار المعانى والمبانى الشيخ الأحسائى[2].. وهنا تمكن فصام الكاتاتونيا منه، وتحول إلى فصام اضطهادى، ظهر فى مظهرين — يعرفهما علماء النفس[3]:

أولا — الشلل العقلى والنفسى : Catatoni Stupor .

حيث يتجمد المريض نفسيا وجسميا، كأن يجلس الساعات الطويلة ثابتا فى مكانه دون أية حركة ولا يشعر هو الآخر بأية حركة حوله، وإذا ما وضع فى وضع معين ثبت فيه دون مقاومة، وأحيانا يشاهد واضعا يديه على ركبتيه خافض الرأس مغلقا عينيه أو محدقا النظر إلى أسفل وكأنه مومياء، يمتنع عن الطعام ولكنه يأكل بشراهة عندما يشعر أنه غير مراقب، يطيع أى أوامر طاعة عمياء حتى ولو كانت نتائجها خطيرة، لا يخضع لأى مبادئ نظافة، ومع ما يبدو على المريض من عدم إدراكه لما يدور حوله، إلا أنه أحيانا حينما يفيق من حالة الجمود يحكى كل

---

(١) إحسان إلٰهى ظهير : السابق، ص ٥٧

(٢) روضات الجنات، ص ٢٧

(٣) د. انتصار يونس : السلوك الإنسانى، ص ٤٠٥

ما دار حوله بتفصيل، يتميز بالسلبية وأحيانا يلجأ فى انسحابه إلى نوع من الغيبوبة التى تفصله عن العالم.

وفى وقوف الشيرازى فى حر الظهيرة المحرقة تحت الشمس عارى الرأس مستقبلا قرصها، متحملا حرارتها ساعات وساعات « حتى كان يعتريه الذهول والوجوم » كما جاء فى تاريخه عند البهائيين والبابيين، يؤكد لنا أنه فى هذه المرحلة كان يعانى من « التخشب الكاتاتونى » جسميا ونفسيا. كما أنه قد أظهر المظهر الثانى من مظاهر الفصام الكاتاتونى، ونعنى:

ثانيا — التوتر الجنونى: Catatonic excitement

ويشخصه العلماء — علماء النفس — بأنه يصيب مرضاه بنشاط حركى عدوانى غير منتظم، وغير مصاحب بأى تعبير انفعالى، وغير متأثر بأى مثير خارجى. ولذلك يقوم المريض أحيانا بأعمال عدوانية غير متوقعة، كأن يهاجم أى شخص أمامه ويكسر أى شىء يصادفه، وقد يمزق ملابسه ويظل عاريا، وتكثر عند المريض الأزمات الحركية، قليل النوم، يرفض الطعام ويتناقص وزنه بسرعة، وقد يصل إلى حالة حادة من التوتر فينهار ويموت..

هذا ما يقوله علماء النفس.. فماذا تقول لنا سيرة الباب كما دونها أتباعه؟!

إنها تكشف عن هذه الأعراض وأخطر منها، إذ أن تعليمات الباب تقضى بقتل كل من لا يؤمن بالبابية، كما أقر بها عباس أفندى بقوله:

« كان منطوق بيان فى يوم ظهور (حضرة الأعلى) الشيرازى ضرب الأعناق، وحرق الكتب والأوراق، وهدم البقاع (المقدسة عند المسلمين من الكعبة وغيرها) والقتل العام لكل من لا يؤمن به »(١).

وكان الباب قد أمر أيضا بقتل من لا يعتنق خرافاته(١)..

---

(١) مكاتيب عبد البهاء، عباس، ص ٦٦ ج ٢، ط فارس

(٢) انظر الواحد السابع « البيان » العربى للشيرازى — وأيضا كتاب د. إحسان إلٰهى ظهير، ص ٩١

— ٢ —

والبيان لمحمد بن على الشيرازى ، الملقب بالباب . هو كتابه المعجز المزعوم ، وحامل رسالته الزائفة الباطلة .

حتى ليقول فيه الزعيم البهائى من بعده حسين على المازندرانى الملقب بالبهاء : إنه لسلطان الرسل ، وكتابه « البيان » لأم الكتب .

ولنقرأ تضامين كتاب البيان للشيرازى :

أورد هذا النص محمد مهدى فى كتابه (شئون الحمراء) اللوح الأول :

« إنا قد جعلناك جليلا للجالين ، وإنا قد جعلناك عظيما عظيمانا للعاظمين ، وإنا قد جعلناك نورا تورانا للناورين ، وإنا قد جعلناك رحمانا رحيما للراحمين ، وإنا قد جعلناك تماما تميما للتامين ، قل إنا قد جعلناك كالا كميلا للكاملين ، قل إنا قد جعلناك عزانا عزيزا للعازين ، قل إنا قد جعلناك ظهرانا ظهيرا للظاهرين ، قل إنا جعلناك حبانا حبيبا للحايين ، قل إنا قد جعلناك شرفانا شريفا للشارفين ، قل إنا قد جعلناك سلطانا سليطا للسالطين ، قل إنا قد جعلناك ملكانا مليكا للمالكين .

كما ورد فى مفتاح باب الأبواب ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، وفى كتاب « البابية » لظهير ص ١٠٨ ..

اقرأ هذا النص وقل لى بربك : أى عبث ، وأى سقط ، وأى زيف ، وأى خطأ لغوى فى مفردات الكلام ، وقع فى هذا النص ؟

قل لى بربك : أى أسلوب من أساليب الكلام هذا الأسلوب ؟ إن الطفل الصغير إذا أراد أن يعبث يقول أعلى من هذا الكلام وأحسن ..

هل رأيت فى اللغة لفظة شرفان ، عزان ، أو ملكان ؟ هل رأيت فيها لفظ ونوران وناورين وعظيمان وعاظمين ؟ وهل رأيت فيها لفظ تميم بمعنى تام ، أو لفظ سالطين بمعنى متسلط ، أو لفظ شارفين بمعنى شرفاء ، أو حايين بمعنى محيين ، أو عازين بمعنى أعزاء ..

قل بربك لهذا الثرثار الأجوف ، ألا يعرف نحوا للغة العربية وصرفها واستقامتها ؟ ألا يعرف مفردات اللغة العربية وأسلوبها وبلاغتها ؟ ألا يعرف كيف يكون الكلام ، وكيف تكون الصياغة ، وكيف يكون التعبير ؟

اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

ومع ذلك يدعون أن كتاب البيان معجز ! ياللداهية الدهياء ، وياللكلمة الشنعاء ، وياللكلمة العوراء ..

وهذا نص آخر من البيان .. ولعن الله هذا البيان .. يقول :

١ ــ أذنت أن يكون مع كل نفس ألف بيت مما يشاء ليتلذذون .

٢ ــ قل : إنما البيت ثلاثين حرفا إن أنتم تعربون .

٣ ــ لتحسبون على عدد الميم .

٤ ــ لئلا يشهد عينى على كره أن يا عبادى فاتقون ..

(الباب الأول والثانى .. من الواحد للسادس من البيان)

وإثبات النون فى الفعل (ليتلذذون) خطأ ، والإعراب بحذف النون ، وكذلك الأمر فى : لتحسبون ..

وثلاثين بالياء خطأ لأنه خبر فهو مرفوع ، والصواب : ثلاثون بالواو ..

ويشهد عينى خطأ الصواب : تشهد عينى ..

وهذا هو الجهل الفاضح مع الغرور الكاذب ، والادعاء الزائف ، والأباطيل الضالة .

ومن هذا النص البهائى وغيره كثير ، نلاحظ حرصهم على السجع ظنا منهم أنه يعطى لكلامهم قداسة ، ولكن النص يظهرنا على ركاكة استعمال السجع ركاكة يمجها الذوق العربى الذى تذهب لغته فى مواد البيان إلى أن السجع مشتق من الساجع وهو المستقيم ، لاستقامته فى الكلام واستواء أوزانه . وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على حد واحد . يقال منه سجعت الحمامة تسجع سجعا فهى ساجعة .. سمى السجع فى الكلام كذلك لأن مقاطع الفصول تأتى على ألفاظ متوازنة متعادلة وكلمات متوازنة متماثلة ، فأشبه ذلك الترجيع . وأما فى الاصطلاح فقال فى مواد البيان : هو تقفية مقاطع الكلام من غير وزن . وذكر نحوه فى المثل السائر فقال : هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد ، ويقال للجزء الواحد منه سجعة وتجمع على سجعات ، وفِقْرة بكسر الفاء أخذا من فقرة الظهور وهى إحدى عظام القلب وتجمع على فِقَر وفِقْرات بكسر الفاء وسكون القاف وفتحها ، وربما فتحت الفاء والقاف جميعا . ويقال لها أيضا قرينة لمقارنة أختها ، وتجمع على قرائن . ويقال للحرف الأخير منها حرف الروى والفاصلة . وأما بيان حكمه فى الوقف والدرج ، فاعلم أن موضوع حكم السجع أن تكون كلمات الأسجاع ساكنة الأعجاز ، موقوفا عليها بالسكون فى حالتى الوقوف والدرج ، لأن الغرض منها المناسبة بين القرائن أو المزاوجة بين الفِقَر ، وذلك لا يتم إلا بالوقوف . ألا ترى أن قولهم : ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت . لو ذهبت تصل فيه لم يكن بد من إعطاء أواخر القرائن ما يعطيه حكم الإعراب فتختلف أواخر القرائن ويفوت الساجع غرضه[1] .

ولكن النصوص البهائية فات غرضها جميعا من استعمال السجع ، فجاء سجعا كاريكاتوريا يثير السخرية لدى القارئ ، ولنقرأ هذا النص الثالث :

---

(١) القلقشندى : السابق .

ونص ثالث هو :

تبارك الله من شيخ مشمخ شميخ ، تبارك الله من
بذخ مبذخ بذيخ ،
تبارك الله من بدء مبتدئ بدیء ، تبارك الله من
فخر مفتخر فخير ،
تبارك الله مكن ظهر مظهر ظهير ، تبارك الله من
قهر مقهر قهير ،
تبارك الله من غلب مغتلب غليب ، تبارك الله من
علم معتلم عليم .

(ص ٢٨٢ مفتاح باب الأبواب ، وص ١٠٨ و١٠٩ البابية لإحسان ظهير) .

وهو عبث وخطأ وزيف لا يقع فيه الأطفال ، والخطأ هنا فى اللغة وفى الأسلوب وفى البلاغة ، وفى كل النص من أوله إلى آخره .

ويقول الباب أيضا :

تبارك الله من سلط متسلط رفيع ، تبارك الله من
وزر مؤتزر وزير
تبارك الله من حكم محتكم بديع ، تبارك الله من
جمل مجتمل جميل

(ص ١٧٦ مفتاح باب الأبواب) .

وهذا هو الغيهب والهذر والخطأ الذى لا خطأ يماثله ..

ويقول أيضا الباب :

١ — فإن كلتاهما ينقطع عنكم .
٢ — وإن تتعقلون تتمنون .

(الباب ١٨ من الواحد والعاشر من كتاب البيان)

وصواب الأول كلتيهما لأنه اسم إن ومنصوب بالياء ..

وصواب الثانى : تتعقلوا ، وتتمنوا فعل الشرط (إن) وجوابه ، فهما مجزومان بحذف النون ..

وليس هناك قط مجال للمقارنة بين الهذيان البهائى المسجوع وغير المسجوع ، وكتاب الله الخالد معجزته الباقية القرآن الكريم ، وفى دراسة لغته وبيانه نعرف حسن وقع السجع فى الكلام ، وفى ذلك يقول صاحب الصناعتين : « لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ، ولا تجد لبليغ كلاما محلولا من الازدواج . وناهيك أن القرآن الكريم الذى هو عنصر البلاغة ومناط الإعجاز مسبحون به ، لا تخلو منه سورة فى سوره وإن قصرت ، بل ربما وقع السجع فى فواصل جميع السورة ، كما فى سورة النجم واقتربت والرحمن وغيرها من السور ، بل ربما وقع فى أوساط الآيات كقوله تعالى ﴿ الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ وقوله ﴿ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم ﴾ وقوله ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ وما أشبه ذلك . وكذلك وقع فى الكثير من كلام رسول الله ﷺ كقوله عليه السلام عند قدومه المدينة الشريفة (أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام) بل ربما صرف ﷺ الكلمة عن موضوعها فى تصريف اللغة طلبا للمزاوجة ، كقوله فى تعويذه لابن ابنته (أعيذه من الهامة والسامة ، والعين اللامة) وأصلها فى اللغة الملمة لأنها من ألم فعبر عنها باللامة لموافقة الهامة والسامة . وكذلك قوله ﷺ للنساء (انصرفن مأزورات غير مأجورات) والأصل فى اللغة أن يقال موزورات أخذا من الوزر ، فعبر بمأزورات لموافقة مأجورات . وعلى ذلك كان يجرى كلام العرب فى مهم كلامهم من الدعاء وغيره ، كقول بعض الأعراب وقد ذهب السيل بابنه : « اللهم إن كنت قد أبليت ، فطالما عافيت » . وقول الآخر : « اللهم هب لنا حبك ، وأرض عنا خلقك » ونحو ذلك . أما ما ورد من أنه ﷺ حين قضى على رجل فى الجنين بغرة عبد أو أمة ، فقال الرجل : « أأدى من لا شرب ولا أكل ،

ولا نطق ولا استهل، ومثل ذلك يطل ». فقال النبى ﷺ (أسجعا كسجع الكهان) ؟ فليس فيه دلالة على كراهة السجع فى الكلام وإن تمسك به بعض من نبا عن السجع طبعه، ونفرت منه قريحته، إذ يحتمل أنه ﷺ إنما كره السجع من ذلك الرجل لمشابهة سجعه حينئذ سجع الكهان لما فى سجعهم من التكلف والتعسف كما وجهه أبو هلال العسكرى، وإما لجريانه على عادتهم فى الجواب فى الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما وجهه غيره، أو أنه كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بإنكار إيجاب الدية لا نفس السجع المأتى به كما اختاره صاحب المثل السائر، ولو كره ﷺ السجع نفسه لاقتصر على قوله أسجعا؟ ولم يقيده بسجع الكهان.

ولم يتسن للباب أو البهاء أن يصل أحدهما أو كلاهما إلى مرتبة سجع الكهان، فجاء ما يكتبان مرفوضا ذوقا وعقلا. فالسجع عند علماء العربية لغة وبلاغة لكى يكون حسنا يجب أن يكون بريئا من التكلف، خاليا من التعسف، محمولا على ما يأتى به الطبع وتبديه الغريزة، ويكون اللفظ فيه تابعا للمعنى بأن يقتصر من اللفظ ما يحتاج إليه فى المعنى دون الإتيان بزيادة أو نقص تدعو إليه ضرورة السجع، حتى لو حصلت زيادة أو نقص بسبب السجع دون المعنى، خرج السجع من حيز المدح إلى حيز الذم. ومنها أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة، لا غثة ولا باردة، مونقة المعنى حسنة التركيب غير قاصرة على صورة السجع الذى هو تواطؤ الفِقَر، فيكون كمن نقش أثوابا من الكرسف، أو نظم عقدا من الخرز الملون. قال فى « المثل السائر » : وهذا مقام تزل عنده الأقدام، ولا يستطيعه إلا الواحد بعد الواحد من أرباب هذا الفن. قال : ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا ولولا ذلك كان كل أديب سجاعا، إذ ما منهم من أحد إلا وقد تيسر عليه تأليف ألفاظ مسجوعة فى الجملة. ومنها أن تكون كل واحدة من الفِقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها، لأن اشتمال السجعتين على معنى واحد يمكن أن يكون فى إحداهما بمفردها هو عين التطويل

المذموم فى الكلام، وهو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها على ما هو مقرر فى علم البيان. قال فى « المثل السائر »: فلا يكون مثل قول الصابى فى وصف مدبر: يسافر رأيه وهو دان لم ينزح، ويسير تدبيره وهو نائم ولم يبرح. ولو قال يسافر رأيه وهو دان لم ينزح، ويثخن الجراح فى عدوه وسيفه فى الغمد لم يجرح. لسلم من هجنة التكرار. فإنه تصير كل سجعة محتوية على معنى بحياله. ومنها أن يقع التحسين فى نفس الفواصل، كقولهم: إذا قلت الأنصار، كلت الأبصار. وقولهم: ما وراء الخلق الدميم إلا الخلق الذميم. ونحو ذلك. ومنها أن يقع فى خلال السجعة الطويلة قرائن قصار، فتكون سجعا فى سجع، كقوله تعالى ﴿ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ وقوله ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد ﴾ فإن قوله على أموالهم وقوله على قلوبهم سجعتان داخلتان فى السجعة التى آخرها حتى يروا العذاب الأليم، وقوله بآخذيه وقوله تغمضوا فيه سجعتان داخلتان فى السجعة التى آخرها غنى حميد. وعد العسكرى منه قولهم عاد تعريضك تصريحا، وتمريضك تصحيحا. وأما قبحه فيعتبر بأمور: منها التجمع وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثانى، كما حكى قدامة أن كاتبا كتب فى جواب كتاب: وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر وإن كان قديم العبودية ويستغرق الشكر وإن كان سالف فضلك لم يبق شيئا منه، فإن العبودية بعيدة عن مشاكلة منه. ومنها التطويل فيما ذكر قدامة وغيره، وهو أن يجىء الجزء الأول طويلا فيحتاج إلى إطالة الثانى بالضرورة، كما حكى قدامة أن كاتبا كتب فى تعزية: إذا كان المحزون فى لقاء مثله كبير الراحة فى العاجل، وكان طويل الحزن ارتبا إذا رجع إلى الحقائق وغير زائل. قال فى الصناعتين: وذلك أنه لما أطال الجزء الأول وعلم أن الجزء الثانى ينبغى أن يكون مثله أو أطول، احتاج إلى تطويل الثانى فأتى باستكراه وتكلف، قال فى مواد البيان: والإطالة بقوله وغير زائل.. فماذا يمكن أن يقول « قدامة » رحمه الله إذا قرأ أقوال الباب والبهاء؟

— ٣ —

نماذج للأخطاء اللغوية فى كتاب البيان :

يقول الباب فى « البيان » :

إننى أنا الله الأسلط الأسلط ، والأثبت الأثبت ، والأغيث الأغيث .

بالله ! مجنون مخبول والله من يقول هذا الكلام ، ويقع فى مثل هذا الخطأ ..

لقد ملأ الغرور الباب ونفخ فيه من طينته السوداء ، حتى لقد قال :

فى ظرف يومين وليلتين أقرر أنى أقدر أن أظهر آيات توازى فى الحجم جميع القرآن ..

(١٥٠ مطلع الأنوار لنبيل البهائى)

يا أيها المجنون اعرف نفسك ، واعرف حجمك ، واعرف مكانك ..

وانظر إلى جنونه الذى دفعه إلى أن يقول (كما ورد فى مفتاح باب الأبواب ص ٢) :

« إننى أفضل من محمد ، كما أن قرآنى أفضل من قرآن محمد . وإذا قال محمد يعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن ، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف مثل حروف قرآنى » ..

وفى غروره وتعاليه وجنونه يقول أيضا (كما فى ص ١٣٨ مفتاح باب الأبواب) :

« إن نبيكم لم يخلف بعده غير القرآن ، فهاكم كتابى « البيان » فاتلوه واقرأوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن : وأحكامه ناسخة لأحكام الفرقان » .

بماذا نرد على هذا الكلام الأبله ؟..

وإذا قال مجنون أو معتوه : إن السماء تحتنا والأرض فوقنا ، فماذا نقول له ما دام مصمما على أن الأرض فوقه والسماء تحته ، غير مقتنع بدليل من عقل ، أو برهان من حس ، أو سلطان من منطق ؟

ويقول الشيرازى على محمد الباب كلاما شبيها بهذا الجنون فى تفسيره لسورة يوسف :

(ولا يقولون كيف يكلم الله من كان فى السن خمسة
وعشرونا ، وأن الله قد أنزل له بصورة من عنده ، والناس
لا يقدرون بحرفه على المثل دون المثل تشيرا)

والصواب هنا : لا تقولون ، وعشرينا . أما باقى الكلام فهو من ألغاز الباب أحرقه الله بنار جهنم أبد الآباد .

ولقد بلغ من فجور الباب أن لقب تابعه الذليل الملا حسين اليزدى بكاتب الوحى .

لقد زعم البهاء حسين على المازندرانى أن كتاب البيان هو كتاب العصر ، كما قال البهاء فى كتابه « الإيقان » الذى كتبه فى بغداد وهو منفى ليؤيد به دعوى شيخه الشيرازى ، حتى لقد قال البهاء فى كتابه الإيقان (١٣٨) :

[فى عهد عيسى كان الإنجيل ، وفى زمن موسى
كانت التوراة ، وفى عهد محمد كان القرآن ، وفى هذا
العصر « البيان » ..

ويقول الباب محمد على الشيرازى فى كتابه « البيان » كذلك :

« لا تتجاوزون أن الله يبعث فى كل زمان كتابا وحجة للخلق .. وفى سنة ١٧٠ هـ من بعثة محمد رسول الله أنزل الكتاب « البيان » وجعل حجته ذات الحروف السبعة (ع ل ى م ح م د) أى (على محمد) « وإذا كانوا هم يؤرخون بالبعثة فإن الصحيح هو عام ١٢٧٣ هـ »(١) ..

(١) وذلك لأنه ادعى النبوة والرسالة عام ١٢٦٠ هـ أى من البعثة وبإضافة ١٣ سنة من البعثة إلى الهجرة يكون التاريخ ١٢٧٣ هـ .

ويقول الباب كذلك فى كتابه « البيان » :

« ١ — إنما البيان حجتنا على كل شيء، يعجز عن آياته كل العالمين.

٢ — إن فضل ما نزلنا عليك على ما نزلنا من قبل كفضل القرآن على الإنجيل.

٣ — لا يجوز التدريس فى كتب غير البيان، ولا تتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون.

والصواب لا تتجاوزوا فتحزنوا، بحذف النون فيهما.

٤ — قد نزّلت « البيان » وجعلته حجة عن الدنيا على العالمين.

٥ — ثم عجز الناس عما نزل فى البيان فإن به يثبت ما تريد..

٦ — قل إن يا أولو المهدى.

والصواب : يا أولى

٧ — قل إنما البيت ثلاثين حرفا..

والصواب : ثلاثون، لأنه خبر المبتدأ و هو البيت.

٨ — وأنت فى أرض بيت حر تبتنون..

والصواب : تبنون »..

وهكذا « البيان » كله من ألفه إلى يائه، أخطاء لا تغتفر.. ونعوذ بالله من شر الوسواس الخناس، الذى يوسوس فى صدور الناس، من الجنة والناس.

وهكذا احتوى البيان الشيرازى على محمد الملقب بالباب على أخطاء لا تغتفر..

وقد جعل الشيرازى فى كتاب « دلائل السبعة » موسى قد ظهر بعد داود.. والصواب العكس..

قال الباب :

« فانظر أمة داود ربوا فى أحضان الزبور خمسمائة سنة ، حتى إذا أدركوا الكمال وبلغوا إلى الذروة جاء وقت ظهور موسى فآمن به البعض الذين كانوا من أهل البصيرة والحكمة المستفادة من الزبور ، وجحده الآخرون » .

وهذا من جهل الباب الشديد ، ومن خطئه البعيد ..

وبعد فأقول :

إذا كانت الأخطاء الجسيمة التى وقعت فى كتاب البيان تعد مما لا يغتفر لإنسان عامى ، فما بالك إذا وقعت من أديب أو متأدب ؟ وما بالك إذا وقعت من مدع للمهدية ، ثم للرسالة ، ثم للألوهية ؟ وما بالك إذا وقعت فى كتاب يعده صاحبه معجزته ودليل ما زعم ، وبرهان ما افترى على الله ورسوله ؟..

إن كتاب البيان دليل إدانة ، وجسم جريمة ، وبرهان كذب صاحبه فى كل ما ادعاه ، فلا حول ولا قوة إلّا بالله .

الفصل الثالث

الأخطاء اللغوية فى كتاب الإيقان

يذهب علماء النفس إلى أن الأفازيا تتضمن نوعا آخر هو ما يسمى بالحُبسة الدلالية ، حيث يعجز المريض عن إدراك معنى الكلام وسياقه ، وعن فهم قصد المتكلم ، وإن كان يظل قادرا على فهم الكلمات منفصلة أو العبارات القصيرة التى يرتبط معناها بسلوك آلى مكتسب منذ الطفولة .

ومما هو جدير بالملاحظة سبر أغلال الوظيفة اللغوية ، فالاضطراب يصيب أولا أسماء الأعلام ، ثم الأسماء النكرة ، ثم الصفات ، وأخيرا الأفعال . فإذا كان هناك مراكز خاصة بكل عنصر دون غيره ، وجب أن تتبع الإصابة نظاما معينا ، والواقع أنه لا يوجد تناظر بين اختلال الوظيفة اللغوية وسير الإصابات الدماغية . وإذا كانت ذكرى الأفعال تقاوم الزوال أكثر من ذكرى الأسماء والصفات .. فهذا يرجع إلى أن الطفل يتكلم أولا كيف يقوم بالفعل قبل أن يتعلم تسميته . وفى إمكان الشخص أن يعبر عن الفعل بالحركات الجسمية فى حين يتطلب التعبير عن أسماء الأشياء عندما لا تكون موجودة فى مجال الإدراك سلامة القدرة على التجربة والتعميم والتصنيف .

ويظن البهائيون أن حسين على المازندرانى الملقب ببهاء الله قد تفوق فى البيان على العالم جميعا ، بل ويذهبون مذهب الشطط حينما يزعمون أن كلامه قد فاق كتب الله وصحفه المنزلة على خيرة عباده ورسله وأنبيائه ، وإذا كنا نستغفر الله العظيم من مثل هذا الادعاء ، فإن داعية البهائية أبو الفضل الجلباتجانى يقول من ذلك ما يجعلنا نسأل الله المغفرة والنجاة من النار ..

يقول داعية البهائية : (ص ١٢٣ من كتاب الحجج البهية) :

« أما الكتاب الإلٰهى ، أى الوحى السماوى ،
فمع ما كانت تصادف ربنا الأبهى — حسين على —
طول أيام ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة ،

والدواهي العظيمة ، مما ليس هنا محل ذكره ، ومع أنه لم يكن من أهل العلم ولم يدخل المدارس العلمية ، فقد ملأ الآفاق من ألواحه المقدسة الفارسية والعربية مما لا نبالغ إذا قلنا إنها تزيد على ما عند ملل الأرض جميعا من كتبهم السماوية وصحفهم الإلٰهية . وخلاصة القول إنه جرت فى أيامه المباركة من قلمه الأعلى وبيانه الأحلى أربعة أنهار من تلك المعارف الإلٰهية ، والحكم السامية السماوية ، ما حيت به القلوب ، وابتهجت به النفوس ، وقامت به الأموات ، وانشرحت به الصدور ، وهذه هى الأنهار الأربعة الجارية من عرش الله فى الجنة العليا والينابيع الفائضة بماء الحياة فى الملأ الأعلى » .

وكتاب الإيقان منسوب لحسين بن على المازندرانى الملقب ببهاء الله ، وادعاه أخوه الميرزا يحيى صبح الأزل لنفسه ..

ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن كتاب « الإيقان » الذى يقال فيه إن البهاء كتبه دفاعا عن الباب الشيرازى ودعاويه ، وذلك نحو عام ١٨٦١ م أى عام ١٢٧٧ هـ ، ينسب إلى أخيه صبح الأزل أيضا ، ويدعيه كل من الباب وصبح الأزل ، والنسخة الخطية المحفوظة فى مكتبة باريس ، ومثلها فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن ، كل منهما تحمل اسم الميرزا يحيى صبح الأزل (ص ١٠٤ نبذة من تعاليم حضرة بهاء ط . القاهرة عام ١٢٤٣ هـ) ..

والبهائيون يقولون : إن حسين على المازندرانى الملقب ببهاء الله إلٰه ورب ، وأنه أنزل الصحف والكتب والألواح ، وأعطى العالم شريعة ومنهاجا ودينا لم يعط مثله قوم من الأقوام ، وملة من الملل ، وأمة من الأمم ، وأن كلام البهاء يفوق كلام العالم والعالمين بما فيهم رسل الله وأنبياؤه ، ويفوق كتب الله وصحفه المنزلة .. ويقولون إنه كان أميا ومع ذلك ملأ الآفاق من ألواحه المقدسة الفارسية والعربية ، ويعد الأقدس هو كتابه المعجزة ..

وكما قال البهاء عن (الأقدس) :

قل تالله الحق لا تغنيكم اليوم كتب العالم ولا ما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب الذى ينطق فى قطب الإبداع أنه لا إلٰه إلا أنا العليم الحكيم ..

وقال عن كتابه « لوح أحمد » :

إن الله قد قدر لقارئه أجر مائة شهيد .

(ص ١٥٨ لوح أحمد للخازندرانى طبع باكستان)(١) ..

ويقول البهائى الجلباتيجانى :

يعجز قلم الكاتب البليغ عن وصف ألواحه المقدسة التى خضعت لها رقاب الفصحاء، وذلت لها أعناق البلغاء.

(ص ١٢٤ و٢٥ الحجج البهية) ..

قال البهاء أيضا منوها بكتاب الإيقان :

إنه الذى جرى من قلم الرحمن، فى نواحى هذه الأزمان، به فك ختم النبيين، وحل عقد بشارات السابقين.

(ص ٣٦ مجموعة رسائل الجلباتيجانى فى طبع القاهرة عام ١١٢٠) ..

ويقول البهاء فى « الإيقان » :

كذلك تغن عليك حمامة البقاء.

(ص ٥٣ الإيقان) ، والصواب : تغنى ..

وكتاب الإيقان وهذا شأنه عندهم حوى من أخطاء اللغة ومن سوء النظم ما يعد بسببه أحط دربه من البلاغة والفصاحة ..

---

(١) يقول فيه البهاء : هذه ورقة الفردوس تغن على أفنان سدرة البقاء بألحان قدسى مليح . وكان الصواب يقال : تغنى ، والقدس ، والمليحة .

ويقول البهاء فى الإيقان :

قل هو الختم الذى ليس له ختم فى الإبداع ، ولا بداله فى الاختراع ، يا ملأ الأرض فى ظهورات البدء تجليات الختم تشهدون[١] ..

و« قاتلهم الله بما فعلوا من قبل ومن بعد كانوا يفعلون »[٢] .

ولمثل هؤلاء قد قيل قديما « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وفى مقام آخر يسرق المعانى من القرآن الكريم ويحشوها فى ألفاظه ويصوغها فى تراكيبه فانظر واعدل ، يقول :

عذبهم الله بنار شركهم وأعد لهم فى الآخرة عذابا تحترق به أجسادهم وأرواحهم ، ذلك بأنهم قالوا إن الله لم يكن قادرا على شىء ، وكانت يده عن الفضل مغلولة[٣] ..

فما أقبحها سرقة وما ألعنه أسلوبا ، وما أجهله لغة وما أحقره كتابا .

ويختم كتابه بالغلط والخطأ كما بدأ بهما .

ولكن الله يفعل بهم كما هم يعلمون ، وينساهم كما نسوا لقاه فى أيامه ، وكذلك على الذين كفروا ويقضى على الذين هم كانوا بآياته يجحدون[٤] ..

وكذب عدو الله وأخطأ كاتبه المهين ، وهذا قليل من الكثير الكثير بل أقل من القليل ..

ويقول البهاء فى هذا الكتاب متنقلا من موضوع إلى موضوع :

---

(١) ، (٢) الإيقان للمازندرانى ، ص ١١١

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٤

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٠

وعلى الله أتوكل وبه أستعين ، لعل يجرى من هذا القلم ما يحيى به أفئدة الناس ليقومن الكل عن مراقد غفلتهم ، وليسمعن أطوار ورقات الفردوس من شجر كان فى الروضة الأحدية من أيدى القدرة بإذن الله مغروسا(١) .

ولينصف القارئ أية لغة هذه ، ولينظر إلى ركاكة الأسلوب وضعف التعبير :

« وليسمعن أطوار ورقات الفردوس من شجر كان فى الروضة الأحدية من أيدى القدرة بإذن الله مغروسا » .

أبمثل هذه العبارات التافهة المهملة يضاعى القرآن ؟ كلا ثم كلا . ﴿ بل هو قرآن مجيد * فى لوح محفوظ ﴾(٢) .

و : ﴿ ولا يأتون بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ .

ثم وما معنى « أطوار » ؟ لسائل أن يسأل من هذا المدعى الكذاب ، مدعى الربوبية وسلطان القلم وما المفهوم « ليسمعن » ؟ ، لأن أطوار فى اللغة العربية يستعمل بمعنى أصناف ، أو جمعا لطور يعنى تارة ومرة .

وما هى « ورقات » ؟ أيريد منها أوراق الشجر أو الكتاب حيث يجمع بورقات ، أم ماذا حيث يأتى قبله السمع ، وورقات الشجرة والكتاب لا تسمع بل تنظر وترى وتقرأ ، أو يريد عنها شيئا آخر ؟ ونرى أن مترجمى كتبه إلى اللغات الأخرى يترجمون ورقات البلابل ، وهو غلط بداهة لأن البلابل عند العرب لا تسمى بورقة .

نعم هناك طائر آخر وهى الحمامة تسمى بالورقاء ، وللجاهل أن يعلم أن جمع الورقاء لا يأتى بالورقات ، بل فى اللغة العربية جمعها « وُرْق »

(١) الإيقان ، ص ١٤ ، ط المحفل البهائى الباكستانى عام ١٩٥٥

(٢) سورة البروج ، الآية ٢١ ، ٢٢

و« وراق »كصحارى وصحارى(١)..

و« من شجر »غلط أيضا..

ثم وما معنى « من أيدى القدرة بإذن الله مغروسا »وكيف هذا التركيب وصياغته، أبمثل هذا يتكلم فصحاء العرب وبلغاؤه؟

وأين الروضة الأحدية التى يغرس فيها شجر، منه يسمع أطوار ورقات الفردوس.

ثم ماذا يقصد من هذه العبارة السقيمة لفظا ومعنى، لغة وصرفا؟

ومثل هذه العبارة عبارة أخرى ذكرها فى « لوح أحمد » الذى يعده معجزة من معجزاته — ونصها:

هذه ورقة الفردوس تغن على أفنان سدرة البقاء بألحان قدس مليح »(٢)..

١ — فالورقة لا يقال فى لغة العرب إلا لورقة الشجرة أو الكتاب، ومطلقا لا يستعمل للبلبل ولا للحمامة كما ذكرنا سابقا، ويستعمل للحمامة الورقاء فقط لا غير لخضرة لونها، والفرق بين الورقاء والورقة فرق بين وشاسع لعارف اللغة العربية ومتقنها.

٢ — « قدس » بدون الألف واللام المعروفة غلط فاسد.

٣ — لفظة « مليح »إن كانت صفة للألحان لكان من الضرورى « مليحة » وإلا فلا معنى لها.

٤ — إن كان مراده من الورقة، البلبل كما يترجمها مترجمو كتبه، كان له أن يعرف أن شجرة السدرة لا يكون موقعها مرتعا للبلابل، وأن شجرة السدرة لا توجد كثيرا إلا فى الصحارى، والبلابل فى الأرض الخصبة.

---

(١) « القاموس المحيط » للفيروزى آبادى، ص ٢٩٨ ج ٣، « لسان العرب » للإفريقى و « التاج » للزبيدى.

(٢) « لوح المازندرانى »، ص ١٥٣، ط باكستان، من « مجموعة كلمات إلـٰهية ».

وأما استعمال لفظة « السدرة » لم يكن إلا أنه كثيرا فى القرآن الكريم ، غير أنه لم يعلم أيضا أنه أكثر ذكر هذه الشجرة فى القرآن لأن العرب كلهم كانوا يعرفون هذه الشجرة لوجودها فى العرب خلاف الأشجار الأخرى ، فإن البعض منها لا يوجد مطلقا فى العرب خلاف إيران وغيرها .

ويقول البهاء فى « الإيقان » أيضا :

كذلك تغن عليك حمامة البقاء ، على أفنان سدرة البهاء ، لعل تكونن فى مناهج العلم والحكمة بإذن الله سالكا[1] ..

و« تغن » هنا أيضا بدون الياء .

و(حمامة البقاء) لم نسمع بها إلا فى كتب العشاق والمتصوفين ، لا فى الصحف السماوية أو كلام المرسلين ، وكذلك سدرة البهاء لم نسمع بها إلا منه ..

وأكثر من ذلك « لعل تكونن » أية بلاغة فى هذه الفقرة ؟ ولقد علمنا وكنا أطفالا فى الابتدائية أن « لعل وأخواتها » لا تدخل إلا على الأسماء والضمائر ، لكن معلم الملكوت هذا يخبرنا أنها تدخل على الأفعال أيضا مخالفا جميع القواعد العربية .

ثم ماذا يفهم من هذه العبارة المهملة ، السقيمة والمريضة نحويا وقواعديا ؟

وعبارته الأخرى فى « الإيقان » مثال للإهمال وركاكة الأسلوب وضعف العربية وجهل بالقواعد ، وهى قوله :

« فسبحان الله من أن يعرف أصفيائه بغير ذواتهم ، أو يوصف أوليائه بغير أنفسهم ، فتعالى عما يذكر العباد فى وصفهم ونعالى عما هم يعرفون »[2] .

ولا ندرى أية مناسبة بين ضمير الجمع الغائب فى (وصفهم) وضمير

---

(١) « الإيقان » للمازندرانى ، ص ٥٣

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤

الواحد الغائب فى « تعالى » ، وكذلك فى « هم يعرفون » ، (.. فتعالى للواحد وهم للجمع بقطع النظر عن بمفهوم العبارة ومنطوقها التى لا يمكن أن يدرك ويعرف) .

ومثلها ما كتب فى « الإيقان » أيضا :

« فسبحان الله عما يصف العباد فى سلطنته،
وتعالى عما هم يذكرون »(١) ..

ففى هذه العبارة المهملة القصيرة أخطاء كثيرة ، منها :

١ — عما يصف العباد ، وكان عليه أن يكتب عما يصفه العباد .

٢ — لا معنى للفظة سلطنته بعد إتيان وصف العباد .

٣ — لا مفهوم لضمير جمع الغائب بعد عباد وقبل يذكرون .

٤ — فوق هذا كله فالعبارة كلها لا معنى لها ، غير أنه تكلف مضاهاة القرآن عبثا .

وأما المهملات فهو صاحبها وسلطانها ، وكتابه « الإيقان » ملئ من مثل هذه العبارات السخيفة مثل كتبه الأخرى ، ومن هذه العبارات من « الإيقان » .

« كذلك نعطيكم من أثمار شجرة العلم لتكونن
فى رضوان حكمة الله لمن المخبرين » .

فهل لفاهم أن يفهم ماذا يريد الرَّجل من هذه العبارة ، بعد أن جاء بصلة من « للإعطاء » مع أنه تعدى بنفسه ، واستعمل « لتكونن » ولفظة «المخبرين»؟

وكذلك قوله :

« كذلك أثبت الله حكم اليوم من قلم العزة ، على
لوح كان خلف سرادق العز مكنونا »(٢) .

فالإثبات لا يأتى صلتها على كما جاء به هذا العجمى ، لأن تعديتها بعلى

(١) « الإيقان » للمازندرانى ، ص ٨٣

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢

يعطى معنى غير المعنى ، فإنه يتعدى بفى فيقال : أثبت فى لوح لا على لوح ، وكذلك لا يقال : من قلم العزة بل بقلم العزة ، وخلف السرادق بل فى السرادق — وما اللوح الذى هو مكنون فى سرادق العز ؟

ثم وما معنى العبارة كلها « أثبت الله حكم اليوم إلخ » .

فالعدل العدل يا عباد الله وعارفى اللغة العربية ! — بل يا أصحاب عقل وفهم !..

ومثل ذلك أيضا قوله :

قل يا أهل الأرض هذا فتى نارى يركض فى برية الروح ، وبشركم بسراج الله ، ويذكركم بالأمر الذى كان عن أفق القدس فى شطر العراق تحت حجبات النور بالستر مشهودا(١) ..

فأية لغة هذه ؟ وهل هناك استعمال ألفاظ أقبح من هذا الاستعمال ، وتراكيب ركيكة أكثر من هذه التراكيب ؟ فاللغة العربية تتأفف من هذا الجزار ، وتترفع من أن يكون الفصحاء والبلغاء سوقة جهلة كهذا ..

وأين البلغاء وأين الفصحاء ؟ فإن العامة من العرب لا يلحنون مثل ما يلحن (سلطان القلم) هذا ، وأطفالهم لا يرتكبون الفحش مثلما يفحش رب البهائية ، وإلٰههم المأفون ، وهل تظلم الألفاظ مثلما ظلمها ؟ فتى نارى يركض فى برية الروح — ثم — وبشركم بسراج الله — ثم — ويذكركم بالأمر — وأخيرا — الذى كان عن أفق القدس فى شطر العراق تحت حجبات النور بالستر — و — مشهودا .

ولن تجد فى وصف مثل هذا القول الركيك عن بيان ركيك ، إلا قول الشاعر العربى القديم :

أتانا ولم يعد له سحبان وائل … بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه … من العى لما أن تكلم باقل

---

(١) « الإيقان » ، ص ٩٨

سحبان مثل فى البيان ، وباقل فى العى ، ولهما أخبار .

وقال الآخر :

ما زُرينـــــا منك أم الأسود   من رحب الصدر وعقل متلد[١]
وهى صناع باللسان واليد

وقال الآخر[٢] :

لو صخبت شهرين دأبا لم تمل   وجعلت تكثر من قول وبــل
حبك الباطـل قدمـا قد شغـل   كسبك من عيالنـا قلت أجـل
تضجر منى رعيا بالحبل

---

(١) يقال رحب رحبا ، كحسن حسنا ، ورحب رحبا كتعب تعبا ــ والمتلد القديم وفى اللسان (تلد) :

ماذا رزينـــا منك أم معبـــــد   من سعة الحلم وخلق متلــــد

(٢) هو أبو الخطاب عمر بن عيسى اليهدلى ، شاعر كان فى عصر هارون الرشيد ، كما فى أمالى ثعلب ١٩٤

التفسير اللغوى للكتب البهائية

اللغة والتفكير :

وضع العالم بضعة صناديق كبيرة فى أحد أطراف قفص كبير، ثم تسلق سلما فى وسط القفص وربط موزة بخيط متدل فوق رأسه، ثم نزل من على السلم ووضعه جانبا، وهكذا استعد لإجراء تجربته ..

فأدخل الشمبانزى الذى فى القفص المجاور إلى هذا القفص، وبينما العالم يعبر القفص ليتابع التجربة من مقعده، شعر بغتة بالقرد يتسلق ظهره، وفى ثانية واحدة انتهى كل شىء ... فقد وصل الشميانزى إلى الموزة بالوقوف على كتفى العالم وجرى بهما إلى ركن ليأكلها.

وهكذا أفسد الشمبانزى على العالم خطته، فقد كان يتوقع منه أن يكدس الصناديق بعضها فوق بعض ليصل إلى الموزة. ولقد أظهر الشمبانزى ذكاء كبير بعمله هذا، فقد فكر بطريقة « فردية » خاطئة أنه فى حاجة إلى شىء مرتفع يصعد عليه، وقد تصادف أن كان العالم أيسر لتحقيق هذا الغرض من الصناديق، وهو عامل لم يحسب له العالم حسابه ..

تدل هذه الحادثة ومثيلاتها على أن الحيوانات تستطيع أن تفكر بطريقة بدائية، فلا بد أن الشمبانزى قد استطاع أن يستنبط فى ذهنه شيئا من الحقائق المعلومة .. ولكن شتان ما بين هذا النوع البسيط من التفكير وبين التفكير الأكثر تعقيدا الذى يقوم به معظم الناس فى مواقف الحياة اليومية[١] ..

فمثلا يقدم شخص ما شيكا فى نافذة البنك، فينظر إليه صراف البنك، ثم يذهب إلى صوان سجلاته ويقلب البطاقات وينظر إلى التوقيع، ويقارن بينه وبين التوقيع فى السجل، فإذا تشابها أصبح الصراف متيقنا تماما أن الذى وقع على

---

(١) هاى روتشلوس : ترجمة لطيف دون : التفكير الواضح .

الشيك هو نفسه المودع . فإذا لم يكن متأكدا فقد يطلب إلى الشخص الواقف أمام النافذة أن يوقع بإمضائه ، ثم يقارن بين التوقيعين ، أو قد يسأله عن اسم أبيه ويقارن بين الإجابة وبين ما هو مكتوب فى البطاقة . ثم يمد يده داخل أحد الأدراج ويستخرج منه عددا من أوراق النقد وبعض القطع المعدنية ويعطيها للشخص الواقف أمام النافذة ، ويعد هذا نقوده ويمضى إلى حال سبيله . وسرعان ما ينفق هذا المال فيسلم أوراق نقده ونقوده المعدنية إلى أناس مختلفين ، ويحصل فى مقابل ذلك على طعام وأحذية وبنزين وغير ذلك من الحاجات ، أو على خدمات مختلفة كالانتقال بالأوتوبيس وغير ذلك من الخدمات . وهو يحصل عادة على المبلغ المتبقى له صحيحا فى كل عملية من هذه العمليات(١) .

إن كلا من هذه العمليات التى نعتبرها أعمالا عادية ، تستتبع عمليات تفكير أكثر تعقيدا بكثير من تفكير أى حيوان . وأساس هذه العمليات جميعا هو قدرة الإنسان على تكوين الأفكار وإيصالها إلى الآخرين بطريق اللغة منطوقة أو مكتوبة . فكل من الصراف والمودع كان يعرف ما تعنيه الرموز ١٠٠ أو ١٠ أو ١ على أوراق النقد . والواقع أن المودع يقبل تشكيلة مختلفة من أوراق النقد والعملات التى يصل مجموعها إلى القيمة المطلوبة ، وهو يشكو إذا حدث خطأ فى ذلك . وأما بالنسبة إلى الشمبانزى أو الكلب أو غيرهما من الحيوانات ، فإن جميع العمليات المصرفية لا تعنى شيئا ألبتة(٢) .

إن الإنسان الحديث يعيش فى عالم ملئ بالمجردات المؤسسة على اللغة والمعبِّر عنها برموز مكتوبة أو مطبوعة . فالكتاب الذى تقرؤه الآن هو مثل جيد على ذلك . فبالنسبة إلى شخص لا يعرف اللغة العربية مثل البهاء ، تعتبر الألفاظ الواردة فى هذا الكتاب سرا غامضا غموضها بالنسبة للشمبانزى . وأما أنت فإنك تعرف معانى الكلمات المختلفة على هذه الصفحة ، ولهذا تستطيع أن تكون

(١) ، (٢) هاى روتشلوس : ترجمة لطيف دون : التفكير الواضح ، ص ٦٦

عدة أفكار جديدة بمجرد النظر إلى هذه الكلمات بترتيبها الصحيح . فهذه الرموز تكون فى عقلك كلمات متتابعة ذات معنى ، وهذه الكلمات المتتابعة تكون أنماطا تستثير التفكير فى عقلك .

إن قدرة الإنسان على استخدام اللغة تعطيه ميزة كبرى على الحيوانات ، فإن الكلام بالإضافة إلى استخدام الأرقام والحروف والرموز الأخرى المكتوبة أو المطبوعة — قد جعل فى الإمكان قيام الحضارة بمدنها وطرقها وسياراتها وطائراتها ومصانعها ومنازلها ومدارسها ومكتباتها .

ولقد حاول العلماء أن يربوا قردة الشمبانزى فى بيوتهم ، فعاملوها معاملة أطفالهم ليعرفوا إلى أى مدى تستطيع هذه الحيوانات أن تصل فى تعلم الكلام وغيره من القدرات اللغوية الإنسانية . وفى السنوات القليلة الأولى من حياة الشمبانزى لوحظ أنه يسبق الأطفال الآدميين فى سرعة نموه الجثمانى ، فهو يتعلم المشى والقفز والجرى والتسلق أسرع بكثير من الأطفال الآدميين . وهو يستطيع أن يمسك بالأشياء خيرا مما يستطيع الآدميون فى سن مبكرة ، ولكن لم يحدث قط أن استطاع أحد قردة الشمبانزى أن ينطق بأكثر من بضع كلمات قليلة بسيطة ، ولم يحدث أن تعلم أكثر من معانى بضع عشرات من التعابير .

ونستهل هذا الفصل بحديث الأستاذ هارى روتشليس لنتعرف على مدى ارتباط اللغة بالتفكير ، ذلك أن مخ الإنسان أكبر بالنسبة إلى جسمه من مخ أى شمبانزى أو أى حيوان آخر . وهناك جزء كبير من فراغ الجمجمة مخصص أساسا للكلام وغيره من القدرات اللغوية ، وتنمو هذه القدرات اللغوية ببطء خلال فترة طويلة من الزمن ، فمثلا بينما نجد أن الشمبانزى يبلغ أقصى قدراته فى سن الرابعة والخامسة ، فإن الطفل فى مثل سنه يعتبر بعيدا جدا عن تفهم أبسط مظاهر النشاط الجسمانى ، وهو لا يملك المهارات اللغوية التى سيحتاج إليها ليستطيع الحياة فى بيئته المركبة .

وفى الخامسة أو السادسة يبدأ فى أن يتعلم كيف يترجم الرموز المكتوبة أو المطبوعة إلى كلام وبالعكس. إن تعلم القراءة والكتابة عملية طويلة جدا وتستمر عادة عشرات السنين، وقلما يتقنها الإنسان قبل سن العشرين، ولهذا فلا بد من تدريب جدى فى المدرسة لتثبت الكلمات والرموز فى العقل حتى يمكن استخدامها وتنظيمها للتعبير عن الأفكار ثم تصبح هذه الأفكار بعد ذلك أساسا لعملية التفكير والفكر الإنسانى.

هذا ما يقوله العلماء.. فماذا عن لغة رب البهائية حسين على المنورى المازندرانى وابنه عباس افندى الملقب بعبد البهاء، ومن قبلهما الميرزة على محمد مؤسس البابية، والذى ردد أستاذه السيد كاظم الرشتى أبياتا يصف فيها عمره الصغير بالعربية:

يا صغير السن، يا رطب البدن يا قريب العهد من شرب اللبن[1]

لنترك الكلمة لعلم النفس وما توصل إليه العلماء..

(١) نقطة ــ الكاف، ص ١٠٣، ط فارس، بتحقيق: بروفسور براون، ط ليدن.

خلاصة

لا يسعنا فى ختام هذا الجزء إلا أن نقول مع أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله :

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ، ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العى والحصر ، وقديما ما تعوذوا بالله من شرهما ، وتضرعوا إلى الله فى السلامة منهما .

وقد قال النمر بن تولب :

أعـذنى رب من حصر وعـــى ومـن نفس أعالجهــا علاجـــا

وقال الهذلى :

ولا حـــصر بخـطبتــــــــه إذا مـــا عـــزت الخـطـــــب

فما كتبه البهاء وما كتبه تابعوه إنما جاء من باب « الهذر » أو كثرة الكلام فى الخطأ كما تقول لنا لغتنا العربية ، ذلك أن البهاء وتابعيه قد أصابهم الله تعالى « بالعى والحصر » ، وهما المرضان اللذان تعوذ العرب بالله تعالى من شرهما ، وتضرعوا إلى الله سبحانه فى السلامة منهما ..

ذلك أن « العى » و« الحصر » و« الحبسة » إنما تمثل اختلال فى الوظائف اللغوية ، والتى يطلق عليها علماء النفس المحدثون اسم « الأفازيا » Aphasie ، كما يطلقون على أمراض الذاكرة اسم « الأمينيزيا » Aminesie ، أى فقدان القدرة على التذكر .

ويذهب هؤلاء العلماء إلى أن حالات « الأفازيا » إنما هى ضرب من ضروب الأمينيزيا .

ويرجع التعليل العام لحالات « الأمينزيا » — فى نظر المدرسة الارتباطية

العنصرية — إلى التلف الذي يصيب مراكز الصور الحسية والحركية فى اللحاء[١].

وقد أدت الدراسات الدقيقة لوظائف الفكر، والمشاهدات الإكلينيكية والتشريحات الدماغية إلى الوصول إلى عدد من النتائج مثل :

(أ) بما أن اللغة وظيفة مكتسبة لها أساس حسى وحركى، كما أن العزف على الآلات الموسيقية أو الرقص أو السباحة هى وظائف مكتسبة لها أيضا أساس حسى وحركى.

(ب) وبما أن القيام بحركات اللغة تتطلب تآزرات عديدة وتنظيما دقيقا لمختلف التنبيهات بحيث يستقيم اللحن، سواء كان لحنا لغويا أو موسيقيا أو بدنيا.

(جـ) وبما أن هذه التآزرات والتنظيمات تشترك فى تحقيقها مناطق واسعة فى الدماغ، بل الدماغ كله فى صورة دوائر..

يترتب على ذلك جميعا أن إصابات الألياف العصبية الدماغية التى تربط بين مختلف مناطق الدماغ تؤدى حتما إلى اضطراب هذه الوظائف المكتسبة، وإلى اختلال اللحن اللغوى أو لتحطيمه.

كما يترتب عليه عدم وجود مراكز معينة فى الدماغ لوظيفة اللغة من حيث هى وظيفة فكرية، وأن الدماغ ككل يشترك فى تأدية هذه الوظيفة.. ولكن بما أن الدماغ ليس مكونا من أجزاء متجانسة، بل توجد مناطق للحركة ومناطق للحس ومناطق للارتباط بين شتى التنبيهات، فإصابة منطقة دون غيرها تؤدى إلى اضطرابات نوعية تصيب من جهة إحدى نواحى الوظيفة اللغوية بصفة خاصة، وتؤثر من جهة أخرى فى النواحى الأخرى من طريق إشعاع هذه الاضطرابات[٢].

وقد وضح فون موناكون Von monakov بدراساته التشريحية عملية إشعاع

(١) د. يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام، ص ٣٠٥

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٧

الاضطرابات وأطلق عليها اسم Diaschisis وهى كلمة يونانية تفيد الفصل عن بعد .. وبين أيضا أن فى حالة عدم إشعاع الاضطرابات وعدم تطور الإصابة تتحسن حالة المريض نتيجة إنابة مناطق أخرى فى الدماغ عن المناطق المصابة لتأدية وظيفتها . ويجب أن نذكر أن أحد النصفين الكرويين الدماغيين يكون متغلبا على الآخر فى أداء عملية التآزر والتنظيم ، وهو فى العادة النصف الأيسر . أما فى الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى فيكون النصف المسيطر هو النصف الأيمن . وقيل فى تفسير التهتهة أنها ناشئة عن عدم تغلب نصف كروى على الآخر ، مما يؤدى إلى عجز الشخص المصاب بالتهتهة عن تحقيق التآزر بين الحركات الصوتية التى يقتضيها التعبير اللفظى . ولكن إذا صح هذا التفسير فيجب ألا نغفل أثر العوامل الانفعالية فى صعوبات النطق(١) .

وكثيرا ما تكون حالات الأفازيا مركبة تشمل اضطرابات فى الفهم والتعبير ، وتكون مصحوبة بنقص واضح فى القوى العقلية وخاصة فى القدرة على فهم المعانى المجردة وتكوينها ، وعلى تصنيف المعانى وإدراك الأشياء من حيث انتمائها إلى جنسها أو نوعها(٢) .

ويذهب علماء النفس إلى أن المصاب بمرض « الأفازيا » ليس مجرد شخص عاجز عن استخدام بعض الكلمات ، أو غير قادر على تسمية الأشياء بأسمائها الصحيحة ، بل هو إنسان قد تفككت لديه الوظيفة اللغوية نفسها ، فأصبح البناء العقلى للوجود مزعزعا تماما فى صميم كيانه . ومن هنا فإن المصاب بمرض « الأفازيا » يفقد الإحساس بوحدة « الموضوع » أو هويته ، ويحيا فى عالم متصدع غير متسق ، ويجد نفسه مضطرا إلى الاكتفاء بأسلوب باطنى نباتى (أو شبه باطنى) فى كل معيشته . وتبعا لذلك فإن ما نطلق عليه اسم « أمراض اللغة » « ليس فى الحقيقة إلا اضطرابات فى الشخصية » ، بدليل أن المريض هنا يفقد كل

---

(١) د . عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية ، ص ٢٩٩ — ٣١٧

(٢) د . يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام ، ص ٣٠٧

تكيف مع الواقع البشرى، ويصاب بانحلال يهوى به إلى « ما دون المستوى الإنسانى » « وهو ذلك المستوى الذى تبلغه حين تنبثق لدينا وظيفة النطق »[(١)].

وهكذا تجىء « الأرفازيا » فتسلب الشخص كل مقدرة على تنظيم « الأشياء المتشابهة أو المواضع المشتركة بوضعها تحت بطاقات موحدة، أو إدراجها تحت أسماء واحدة بعينها، وبالتالى فإنها (أى الأفازيا) تحرمه من كل المزايا العقلية التى كانت « اللغة » قد منحته إياها. ولا شك أن هذه النكبة العقلية الأليمة هى التى تعمل على إقصاء مرض اللغة من كل حياة اجتماعية، لأنها إذ تقضى على كل ما لديهم من « حياة شخصية »، فإنها تقضى فى الوقت نفسه على كل ما لديهم من مقدرة على « التواصل » مع الآخرين »[(٢)].

---

(١) ، (٢) د. زكريا إبراهيم : مشكلة الحياة، ص ٨٣

الفصل الرابع

كتاب الله .. والإعجاز اللغوى

لغة العرب كما لا يعرفها البهائيون

لقد تبدلت أوضاع الحياة العربية بعد الإسلام تبدلا ملموسا ، وتغير أعظم التغير مظهرها ، وانقلب انقلابا شديدا جوهرها ، وأصبح السمت غير السمت ، والسلوك غير السلوك ، والخلائق والشيم غير تلك التى كانت تشيع فى الجاهلية ، وتسيطر على مناحى الفكر .

كانت الحياة الفكرية فى الجاهلية تعتمد على الشعر ، به مفاخراتهم ومنافراتهم ، وعليه تقوم خصوماتهم . فكأن لسانهم المعبر عن كل ما يضطرم فى صدورهم من أفكار ، ويختلج فى أفئدتهم من أحاسيس .

فلما جاء الإسلام طوى ذلك البساط بما عليه من تنافر وتناحر ، وما يضم من أحقاد غادرة ، وأضغان ثائرة ، وخصومات منكرة ، وقضى على تلك الحمية : حمية الجاهلية ، وبغض إلى الناس التفاخر بالآباء والأنساب ، وامتن على أتباعه وأوليائه بأن الله أذهب عنهم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء .. قال ﷺ : (أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) .

ولما كان شعر الجاهلية يحمل بين أطوائه كل المعانى التى حرمها الإسلام وأزرى بها ، فقد كرهه الإسلام وأبغضه ، وقال فيه الرسول — ﷺ — : (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريه[1] ، خير له من أن يمتلئ شعرا) ..

لم تقم للشعر فى ظلال الإسلام الدولة التى كانت له إبان الجاهلية ، لأن الإسلام دين العفة والإخاء والوفاء وصدق الحديث . إنما انتقلت راية الكلام للنثر الذى حمل أعباء الفكر ، ونهض وحده مغالبا بالدعوة الجديدة يبن مزاياها ، ويكشف أسرارها ، ويحاج خصومها ، ويجادلهم بالتى هى أحسن .

---

(١) يريه : أى يفسده ، ورى القيح الجوف كوعى : أفسده .

دعا به النبى — ﷺ — قومه إلى الله ، وبصرهم بمحاسن الإسلام ، وحذرهم وأنذرهم ووعدهم وبشرهم ، وكتب به إلى أمرائهم وأقيالهم ، ثم كان هذا النثر لسان الدولة التى أحدثها الإسلام ، فكانت تكتب به العهود ، وتصاغ الوصايا ، وتدون دساتير الولاة ومناهج الرؤساء وسياسة الحكام .

وعلى مقدار تنوع الحياة الإسلامية ، وتعدد ألوانها وتشعب مظاهرها ، عظمت رسالة النثر واتسعت مهمته ، فكان لسان الخلفاء والأمراء والولاة .

والواقع أنه حيث يكون الملك ، وتكون الدولة بما يستتبعها من أمر ونهى ، وحث وزجر ، وأخذ ورد ، ورسم سياسة وتبريرها ، وإقامة حدود ومعالم وتبيينها، يكون المكان الأول فى هذه الدولة للنثر، ولا يستطيع الشعر أن ينهض بما تقوم به من أعباء ، وما يؤدى من رسالات متعددة متنوعة .

ولما كان النثر يتخذ مظهر الحديث النبوى والخطابة أحيانا ، ومظهر الرسائل أحيانا أخرى ، وكنا قد تحدثنا عن بلاغة الحديث النبوى ، فسوف ندرس أدب الخطابة وأدب الرسائل فى الفصول التالية .

ولما بعث الرسول — ﷺ — كان بمكة نفر ممن يحسنون الكتابة ويبلغون نحو السبعة عشر ، ثم لما هاجر إلى المدينة ووقعت غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة الشريفة وأسر المسلمون نحو سبعين رجلا من قريش وغيرهم ، جعل الرسول — ﷺ — فداء كل من يعجز عن دفع المال تعليم الكتابة لعشرة من فتيان المدينة ، فلا يطلق سراحه إلا بعد تعليمهم ، فكثرت الكتابة فى المدينة ، وأخذت تنتشر فى كل ناحية دخلها الإسلام فى حياة الرسول وبعده .

وبلغ عدد كتابه عليه السلام ثلاثة وأربعين كاتبا ، منهم زيد بن ثابت ، ومعاوية، واختلف فى كونه — ﷺ — يقرأ ويكتب ، فمن قال بذلك استدل بقوله تعالى : ﴿ رسول من الله يتلو صحفا مطهرة ﴾ ، وبحديث البخارى أنه عليه الصلاة والسلام فى غزوة الحديبية أخذ الكتاب ليكتب فكتب . ومن قال إنه أمى استدل بقوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ ،

ويحديث البخارى : (نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب). وليس ما يمنع من أن الرسول — ﷺ — كان أميا قبلى بعثته لتتم له المعجزة ، ثم بعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته ، تعلم الكتابة وعرفها .

وكان على كرم الله وجهه ، وعائشة وصفية من أمهات المؤمنين يحسنون الكتابة .

ولم يلحق الرسول — ﷺ — بالرفيق الأعلى إلا وقد أناف الكتابة على خمسمائة بين رجل وامرأة وفتى .

وفى العهد النبوى كتب القرآن الكريم ، ورسائل النبى — ﷺ — إلى الأقيال والأمراء والملوك ، وكتبت عهود الصلح بينه وبين قريش وغيرهم ممن دخل فى ذمة المسلمين .

وكان كتابه — ﷺ — نوعين : كتاب وحى ، وكتاب أعمال .. ومن بين كتاب الأعمال : الزبير بن العوام وجهل بن الصلت ، وكانا يكتبان الصدقات ، والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير ، وكانا يكتبان التداين والمعاملات ، وحذيفة ابن اليمان وكان يكتب على خوص النخل .

ولما توفى رسول الله — صلوات الله عليه — واتسعت الفتوحات الإسلامية كثرت الحاجة إلى الكتابة ، وقام الكتاب بأعمال الدعوة والدولة ، فكتبوا القرآن ، واستخدمهم الخلفاء فى كتابة رسائلهم إلى العمال والولاة والقواد ، وفى وصاياهم إلى قضاتهم ، ورسائلهم إلى أهل الأمصار ، وفى كتابة وثائق الصلح ونصائح الخليفة وتوجيهاته فى الحرب والسلام .

وكان الخليفة أو الوالى يكتب بيده أو يملى على بعض الكتاب ، ولم تكن قد صارت بعد صناعة فنية كما حدث فى عهد بنى أمية وبنى العباس .

وكانت الحاجة إلى الكتابة فى عصر صدر الإسلام كثيرة :

فقد كان المسلمون فى حاجة إليها لتدوين القرآن ولكتابة رسائل الدعوة إلى الإسلام .

كما كانوا فى حاجة إليها فى شئون الملك والسياسة ، والحروب والسلم ، وفى كتابة العهود والمصالحات والمنشورات والوصايا والنصائح .

ثم دعت الحاجة إليها فى تدوين الدواوين وتنظيمها .

فإنه لما اتسعت الفتوحات فى عهد عمر ، وكثرت موارد الدولة ، ووفرت الغنائم ، احتاجت الدولة إلى إنشاء الدواوين لضبط مواردها ومصارفها وضبط أعطيات المسلمين ..

وقد عهد الخلفاء بالكتابة فى الدواوين إلى العرب والموالى والمتعربين وظلت كتابة الخراج فى الأقاليم بلغة أهل المصر ، ففى العراق وفارس بالفارسية ، وفى الشام بالرومية ، وفى مصر بالقبطية . حتى حذقها من العرب طائفة فحولت بعد ذلك الكتابة فى الدواوين إلى اللغة العربية وذلك فى عصر بنى أمية .

وامتاز أسلوب الكتابة فى هذا العصر بما يأتى :

١ — سهولتها ووضوحها ، وقصدها إلى الغرض ، وبعدها عن التكلف ، وخلوها من عبارات التفخيم ، وتأثرها بالقرآن وأسلوبه واقتباسها منه .

٢ — ميلها إلى الإيجاز ، حتى لقد كتب خالد بن الوليد إلى عياض رسالة وهو محاصر بدومة الجندل يقول فيها :

من خالد إلى عياض : « إياك أريد » .

٣ — وكانت الرسائل تبدأ باسمك اللهم ، ثم يقول من فلان إلى فلان ، ثم يلى ذلك غالبا قولهم : السلام عليكم ، أو السلام على من اتبع الهدى ، ثم يثنون بقولهم : « إنى أحمد الله إليك » ثم يأتى الكاتب غالبا بأما بعد ، وبذكر غرضه الذى يكتب لأجله ، ويختمها بقوله : « السلام عليكم ورحمة الله » .

ومن نماذجها ما كتبه رسول الله — ﷺ — إلى هرقل فى السنة السابعة من الهجرة ، وقد بعث رسول الله بهذه الرسالة دحيه بن خليفة الكلبى ، ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم » . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم

تسلم . أسلم يؤتك الله أجـرك مرتين . فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين [١] ..

ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

٢ — وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى وقد ولاه القضاء :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، سلام عليك ، أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس[٢] بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك[٣] ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا ، لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق » .

٣ — وكتب معاوية بن أبى سفيان إلى علىّ بن أبى طالب حين اشتد بينهما الخلاف :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من معاوية بن صخر إلى على بن أبى طالب : أما بعد : فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من عثمان لكنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين . ولكنك أغريت بدم عثمان

---

(١) هم العمال والفلاحون لأنهم تبع لسادتهم .

(٢) آس : سوِّ بين الناس . (٣) الحيف : الظلم .

المهاجرين وخذلت عنه الأنصار ، فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف . وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت[١] شورى بين المسلمين ، وإنما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم ، فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ، ولعمرى ما حجتك عليهم كحجتك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك ولم أبايعك . وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام ، فأما شرفك فى الإسلام ، وقرابتك من رسول الله — ﷺ — وموضعك من قريش ، فلست أدفعه .

المعجزة اللغوية فى كتاب الله

(١)

نريد من هذه الدراسة أن نتعرض لجدة القرآن الكريم من كل جوانبه ومجالاته ونواحيه الأدبية ، فضلا عن شتى جوانبه الروحية والفكرية والإنسانية ، التى كانت جدتها حدثا كبيرا ضخما من أضخم الأحداث العالمية ، وأكبرها إثارة وجليل أثر ، وكبير خطر فى الحياة .

ولا يستطيع منصف أن ينكر أن القرآن الكريم من ناحيته الروحية والفكرية قد أتى بكل جديد ، وبأكثر وأكبر مما أتى ويأتى به أى جديد . وإن جدة القرآن الكريم حقيقة وجدت ولا تزال موجودة حتى اليوم ، ومع كل ما وصل إليه الفكر الإنسانى من تطورات مذهلة ، ونتائج جديدة فى نطاق ميدان البحث والكشف والتقدم والحضارة ، وجدة القرآن الكريم باقية ماثلة أمام كل تطور إنسانى وبشرى ، وأمام كل تقدم فكرى بلغته الحياة حتى اليوم . والقرآن الحكيم كما كان جديدا على عقل إنسان القرون الأولى لنزوله ، فإنه بفكره المشرق

(١) كانت : أى الخلافة .

المضىء ، وما أتى به فى مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقوم الأصول وأرسخ الدعائم ، هو جديد أبدا ، وسيظل هو الجديد دائما على مر العصور والأجيال والأحقاب ..

لن نفيض فى الحديث إذن عن الجدة فى القرآن الكريم من حيث نواحيه وآثاره الدينية والعقلية والسياسية والاجتماعية ، ولكننا نريد أن نبحث هنا عن جدة الصورة الأدبية فى القرآن الكريم .. ويدفعنا إلى ذلك أمران :

الأول : جانب المعجزة فى القرآن الكريم .

الثانى : جانب المعرفة لأهمية هذا الكتاب العظيم وقيمته من الناحية الأدبية ، فضلا عما يجمع عليه كل المنصفين من أهميته وقيمته وأثره فى الناحيتين الروحية والفكرية .

ولا يستبين للباحث أهمية أى نص من نصوص الأدب ، أو أثر من آثاره الرفيعة ، إلا إذا أدرك إدراكا عميقا مدى الجدة فى هذا الأثر ، ومدى ما يحويه من عناصر التجدد والحياة والنمو والزيادة التى يضيف بها إلى الفكر الإنسانى شيئا لم يضفه إليه السابقون .

ومن حيث كانت جدة القرآن فى جوانبه الروحية والفكرية أمرا مسلما به ، فإن الذى سينتهى بنا الحديث إليه هو تقرير الجدة فى الصور الأدبية للقرآن الكريم أيضا ، لأن تقريرها أساسى لتقرير أى أثر وفهمه ومعرفة قيمته .

ولماذا نخص حديثنا هنا ببحث الجدة فى الصورة الأدبية للقرآن ؟ ولا نطلق البحث إطلاقا ليصبح الغرض منه البحث عن مدى ما فى القرآن من الجانب الأدبى عامة من جديد ؟

نعم نريد أن نبحث عن الجديد فى الصورة الأدبية للقرآن الكريم وحدها ، لأن الصورة الأدبية هى الإطار العام للأدب ، وهى التى تحدد للأدب شتى عناصره وأصوله وخطواته ومختلف وظائفه ، وهى التى تستثير الباحث أول ما يستثيره فى النص الأدبى من خصائص ومميزات . على أن الصورة الأدبية فى

النص تبقى موضوع اتفاق تام بين جميع الكتاب والآثار الأدبية ، ولا تختلف عندهم كبير اختلاف نادرا جدا ، وفى أقل حدود الاختلاف والفوارق الفنية للأدب .

والصورة الأدبية لها معنيان عند نقاد الأدب :

الأول : أنها تعنى المنهج وطريقة الأداء ، وتساوى بهذا المعنى ما انطلق عليه اسم الجنس الأدبى من قصيدة ومقالة وخطبة ورسالة وقصة .. إلخ .

والثانى : أن الصورة هى الشكل فى النص الأدبى ، وتقابل المضمون الذى هو الفكرة أو المعنى ، أو الغرض أيضا (مع بعض التجاوز) فى النص . فعلى هذا تكون الصورة التى هى الشكل فى النص الأدبى شاملة للعبارة — أى الأسلوب — وللخيال الذى يلون عاطفة الأديب ويصورها . وعندئذ نقف فى النص بين الشكل والمضمون ، فيجب على الأديب أن يوازن بينهما موازنة دقيقة ، فلا يطغى أحدهما على الآخر . فلا يطغى المضمون على الشكل أى الصورة ، وإلا خرج الكلام من باب الأدب إلى العلم ، ولا تطغى الصورة على المضمون ، وإلا كان الكلام أدبا لفظيا إنشائيا لا وزن له فى باب الفكر ، بل فى مجال الأدب أيضا . حينئذ يجب أن يهتم الأديب بالمضمون أو الفكرة ، كما يهتم بالصورة أو الشكل .

وسوف نتحدث هنا عن جدة الصورة الأدبية فى القرآن الكريم بالمعنى الأول الذى هو طريقة الأداء ، ونتحدث بعد ذلك عن جدة الصورة الأدبية بالمعنى الثانى الذى هو الشكل أو النظم أو الأسلوب .

(٢)

كانت الصورة الأدبية عند العرب الجاهليين قد انتهت إلى جنسين كبيرين هما النثر الشعر ، فوقف النثر عند الخطبة والوصية والنصيحة والمثل والحكمة والمنافرة والمفاخرة والمحاورة وسجع الكهان والأسطورة والقصة الشعبية القصيرة ، ووقف الشعر عند القصيدة الغنائية بشكلها المعروف المألوف .

ولم يكن للنثر وفنونه وأجناسه فى المجتمع العربى كبير خطر ، ولا عظيم شأن ، وكان أكثره ارتجالا واقتضابا ، وليس فيه ثقافة واسعة ، ولا فكر مضىء ، وأكثره يذهب فى الشتات والاختلاف وتفكك الوحدة الفنية (أو العضوية) مذهبا بعيدا ، فضلا عن أن النثر لم يحفل به المجتمع الجاهلى احتفالا يذكر ، ولم ير له عناية ما ، ولا أحله منزلة خاصة . وفوق ذلك كله فقد النثر قيمته بفقدان أصوله قبل التدوين ، ولضياع أكثره للمدة الطويلة التى عاشها هذا النثر معتمدا فى بقائه على الحافظة وحدها ، والحافظة يند منها النثر ولا يبقى طويلا فيها بعكس الشعر ، لأنه مقيد والنثر مطلق ، والمقيد يبقى فى الذاكرة أكثر مما يبقى المطلق . ومع ذلك كله فهذا النثر المأثور عن العصر الجاهلى قد رفض كثير من الدارسين والنقاد ، ومن بينهم لفيف من المستشرقين وطه حسين أيضا ، رفضوا أن يسمى نثرا فنيا لأنه فى رأيهم لم يكن محتويا على عناصر النثر الفنى ومقوماته ، وذهبوا إلى أنه أشبه بالنثر الشعبى الذى يستعمل لغة لأحاديث الحياة اليومية العابرة .. ولكن هذه الأسباب كانت الصورة الأدبية النثرة عند العرب الجاهليين غير ذات أهمية تذكر فى مجال النقد وموازين الكلام ، والحديث عن القيمة الفنية .

ولقد بقيت القصيدة الغنائية وحدها أرفع صور الأدب فى مجتمع الجاهليين . وهو المجتمع الذى نزل فيه القرآن الكريم متحدثا إليه مفيضا فى التوجه — كل التوجه — له .

وهذه القصيدة الغنائية قد مرت بأطوار عديدة من التهذيب الفنى ، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه من قصيدة المعلقات المعروفة ذات الصبغة المتوازية العمودية ، التى وسعت تقاليدها الفنية العريقة كل ألوان التقاليد الشعرية للقصيدة العربية التى ورثناها عن الجاهليين . وكانت لهذه القصيدة منزلتها ومكانتها وأهميتها فى المجتمع العربى ، فهى حديث الناس ، وموضع اعتزازهم وتقديرهم وفخرهم ، وهى التى ينشدونها فى مجالس لهوهم وجدهم ، وفى مسامراتهم ، وأنديتهم ، وفى أسواقهم وحروبهم وحلهم وترحالهم ، وهى على

العموم آية عبقرية ، ودليل شخصية وذاتية عظيمة ، والشاعر عندما يكتبها ترتفع قيمته الاجتماعية فى مجتمعه ، ويصبح وله كل ألقاب الحمد والمجد والتقدير بين الناس ، وبلغ من أمر قصيدة المعلقات أن علقت على أستار الكعبة .

وإذا أردنا أن نعرف قيمة قصيدة المعلقات هذه لنرى مدى ما تستحقه من تقدير ، رأينا أنها :

١ — تخلو من كل قيمة فكرية أو إنسانية أو روحية .

٢ — وأنها تخلو من كل وحدة فنية ، مما لاحظه عليها كثير من النقاد المعاصرين من أمثال العقاد فى كتابه « مراجعات » ، وغير العقاد أيضا كأحمد أمين فيما كتب من الشعر الجاهلى فى مجلة الثقافة[1] .

٣ — وأنها تمثل منهجا بدويا فى التعبير والأسلوب واللفظ والخيال ، وليس هو كل شىء فى مناهج التعبير الأدبى .

٤ — وأنها كذلك تكثر أخطاء الشاعر اللغوية فيها كثرة مذهلة .

ولسنا نقول ذلك تجنيا على القصيدة العربية القديمة ، بل لقد سبقنا إلى ذلك الإمام أبو بكر الباقلانى فى كتابه المشهور « إعجاز القرآن » الذى درس معلقة امرئ القيس المشهورة فى صفحات عديدة من كتابه ، وأبان ما اشتملت عليه من أخطاء لغوية وفنية وغيرها .

ونحن نعرف أهمية قصيدة المعلقات معرفة وثيقة ، فهى التى وسعت كل الأصول الفنية للقصيدة العربية ، وهى التى تمثلت فيها البلاغة العربية بجميع خصائصها تمثلا كاملا ، وهى التى استنبطت منها أحكام اللغة العربية وقواعدها فى بيانها ونحوها وصرفها واشتقاقها وأحكام مفرداتها ونظام معجماتها وغير ذلك .

وهى كذلك أمدتنا بالشاهد والمثل على كل شىء فى لغتنا العربية ، ومن أجل

---

(١) جناية الشعر الجاهلى على الأدب العربى — أحمد أمين ، مجلة الثقافة المصرية عام ١٩٣٩

ذلك كان ابن عباس رضى الله عنه يقول : إذا عز عليكم فهم شيء من كتاب الله تعالى فالتمسوه فى شعر العرب[١] ، فنحن لا نريد أن نغض من قيمة القصيدة الشعرية الجاهلية أو ننفر منها ، ولكننا نضعها فى موضعها الذى وضعها فيه الإمام الباقلانى فى مقام حديثه عن إعجاز القرآن الكريم .

هذه القصيدة الشعرية إذن كانت أرفع صور الأدب فى مجتمع الجاهليين ، ومع ذلك فإنها لا تزن شيئا فى مقام الحديث عن الصورة الأدبية فى القرآن الكريم .

(٣)

فما هى إذاً الصورة الأدبية فى القرآن الكريم والجديد فيها ، والطريف منها ، والشيء الذى لم يعرفه الجاهليون من أجناسها وفنونها وألوانها وطرق أدائها ؟

لأول وهلة نجد أنفسنا أمام أشياء جديدة كل الجدة ، ففرقان وقرآن وآيات وسور أسماء جديدة لمسميات جديدة كذلك .

﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾[٢] .

﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾[٣] .

﴿ آلر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾[٤] .

﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾[٥] .

﴿ سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ﴾[٦] .

---

(١) راجع ما كتبناه عن ذلك فى كتابنا « الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى » ، وكتابنا « موقف النقاد من الشعر الجاهلى » .

(٢) الإسراء ، آية ١٠٦ (٣) الفرقان ، آية ١ (٤) يوسف ، آية ١

(٥) طه : آيتا ١ ، ٢ (٦) النور ، آية ١

ولم ينزل القرآن الكريم على النمط المألوف من كلام العرب ، فلم يتخذ شكل القصيدة الجاهلية نمطا له . ولم يأت على أسلوب الخطابة ولا الوصية ولا المثل ولا الحكمة ولا المنافرة ولا المفاخرة ولا المحاورة .

ولكننا نجد فيه القصة فى أرفع أشكالها وأروع ظلالها ، ونجد فيه الخيال الرفيع فى ألوان بديعة من التمثيل والتشبيه والمجاز والكتابة والاستعارة ، ونجد فيه البشارة والإنذار والوعد والوعيد ، ونجد أرفع الأوصاف وأجل الصور .

لم يكن القرآن شعرا ولا سجعا ولا مزاوجة ولا نثرا مرسلا ولا خطابة ، بل جاء على مذهب خارج عن المعهود من نظام كلام العرب ، ومباين للمألوف من مناهج كلامهم ، ينصرف على وجوه مختلفة من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف ، وأوصاف وتعليم ، وسير مأثورة ، ويتردد بين طرفى الإيجاز والإطناب ، كلمة يضىء كما يضىء الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر ، كالروح فى البدن ، والأمن فى الوطن ، وكالغيث الشامل ، والسحاب الهاطل ، وكالضياء الباهر ، والبحر الزاخر .

وإن تعجب فعجب تصوير القرآن الكريم للحياة الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وللنفس البشرية فى سلمها وحربها ، ولهوها وجدها ، وأملها وألمها ، وكفرها وإيمانها ، وللمثل العليا فى الحياة المهذبة الكريمة التى يسعى إليها إنسان الإسلام ، وتسير لشاطئها الأمين إنسانية الحياة فى ظلال الدين ، لأنه خلاصة لكل ما فى الحياة من ثقافة وحقائق ، والمنهج الكامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة .

وفى القرآن الكريم من سمو وصفاء الحكمة ، وتمام مطابقة المثل ، ما جمع به البلاغة من مختلف أقطارها ، وفيه من الحجة الدامغة ، والروحانية الصافية ، والحديث عن العقيدة ، والإفاضة فى بيان الشرك والإيمان والشر والخير ما يوقظ الضمائر ، ويحرك العقول ، ويثير النفوس .

وفيه من أخبار الأمم الماضية ، والفرق الخالية ، والشرائع البائدة ، والأديان السالفة ، ومن أخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن الإخبار بالمغيبات ، ومن الإفاضة فى شرح الدعوة ، وبيان التشريع ، والاستدلال على حقائق الأمور بالآثار المشاهدة فى خلق السموات والأرض ، وبقياس الغائب على الشاهد ، وبضرب الأمثال ، والبراهين العقلية المجردة ، وفيه من حسن التقسيم ، وجمال المقابلة ، وروعة الطباق ، وبديع الجناس ، ورفيع الفواصل ، ما يهز القلوب ويملك على عقل الإنسان كل منافذه ، وأبوابه .

ومع ذلك كله فهو ليس كتاب قصص ، وليس كتاب متعة وتسلية ، وليس سفر أدب أو حكمة أو تاريخ أو اجتماع ، وإنما هو خلاصة لكل ما فى الحياة من حقائق ومعارف وعلوم وثقافات . ومنهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية ، فهو كتاب الإنسانية كلها ، وصحيفة البشرية قاطبة .

وما أروع القرآن فى فواتحه ومقاصده وخواتيمه ، وفى مبادئ آياته وفواصلها ، وفى حديثه عن المعانى الدقيقة ، والأفكار العميقة ، والأغراض النبيلة ، وفيما اشتمل عليه من دقة التصوير ، وجمال الوصف ، مع سمو التعبير وعظمة التأثير ، وروعة الإيجاز ، و سحر المجاز ، وبلاغة التكرار ، وفصاحة التعريض ، يصور نعيم المؤمنين ، وسعادة المتقين ، فيدعك تشعر بالراحة والنشوة ، وبالسعادة والفرحة ، وبالسرور والحبور ، وبقرة العين وانثلاج الصدر ، وبالعجب والطرب . ثم يصور هلاك العاصين ، وشقاء الجاحدين ، وعذاب الكافرين ، فيتركك حليف الهم والحزن ، والتذكر والاعتبار ، والتفكر والتدبر ، والألم والأمان ، والبكاء والعبرة المنسكبة ، والآهة المرددة .

والسورة القرآنية — قصيرة أو طويلة — تجيء ممثلة لفكرة ، ومصورة لغرض ، ومؤدية لمعنى ، وتسير فى جوها العبق ، وأفقها الساحر ، وجوانبها المشرقة ، فتسير مع الفكرة المقصودة خطوة خطوة ، وتجدك تمشى مع العرض

القرآنى غاية فغاية ، فى وحدة واتساق ، وفى نظام عجيب ، وترتيب غريب ، وفى منطق منسق ، وحجج متدافعة متدفقة ، وتجد الآيات تتحرك فى معرض الاستدلال كأنها موكب من نور ، ومهرجان مصور لأدق خفايا الشعور ، وحنايا الصدور ، وتجد فى هذه السورة فكرة واحدة غير الفكرة التى تمثلها السورة الأخرى ، وغرضا واضحا غير الغرض الذى ترمى إليه السورة السابقة أو اللاحقة .

وتجد افتتاحات السورة العجيبة ، مثل ص ، ن ، ق ، ط ، طسم ، طس ، حم ، آلر ، ألم ، إلى غير ذلك .

وتجد الآيات تتوالى فى السورة ، وكأنها البحر الهادر ، والموج العاصف ، وتجد الفواصل فى السورة ، موقعة الخطا ، منغمة الحروف ، وتجد القصة والعبرة ، والموعظة والحكمة فى قالب من السحر ولا كسحر هاروت وماروت ، وفى طابع من الحسن والجمال ، ولا كحسن يوسف وإخوته .

وتجد لكل سورة اسما عجيبا ، البقرة ، والرعد ، والطور ، والمائدة ، والكهف ، ويونس ، ويوسف ، وإبراهيم ، ومحمد ، والنور ، والمؤمنون ، والمنافقون ، والضحى ، والشمس ، والقتال ، والفتح ، والحشر ، والصف ، والنساء ، والطلاق ، والتحريم ، والأحزاب ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، وآل عمران ، والجمعة ، والعصر .. إلخ غير ذلك ، وتجد لكل اسم من أسماء السورة قصة ، ولكل قصة حدثا وعبرة .

وكل ذلك نمط مخالف لأنماط البيان عند الجاهليين ، وصورة مباينة لصورة البلاغة عند العرب الذين نزلت عليهم هذه المعجزة الإلٰهية الحكيمة .. إنها صورة أدبية جديدة لا تجد لها مثلا ولا شبيها بها ، ولا تجدها نفسها إلا فى القرآن الكريم .

سبحانك ربى أنزلت القرآن ، وفصلت الفرقان ، وأحكمت البرهان ، وأنت رب العالمين ، ومنزل الكتاب المبين . ورأى العرب الكتاب شيئا عجبا ،

ومنطقا جديدا ، ومنطلقا فسيحا من الحكمة الإلٰهية الجليلة ، فقال عتبة بن ربيعة حين ذهب فاستمع إلى محمد يتلو آيات الكتاب : « لقد كلمته فأجابنى بشىء ما هو بسحر ولا كهانة ولا شعر » إنما هو الوحى .. الوحى المنزل على محمد بن عبد الله ، الوحى الذى نفس بعض العرب على محمد أن يتنزل عليه ، حتى لقد جاء الوليد بن المغيرة إلى الأخنس بن شريق يقول له : ما تقول فيما سمعت من محمد ؟ فقال الأخنس : ماذا أقول ؟ قال بنو عبد المطلب : فينا الحجابة ، قلنا : نعم . قالوا : فينا السقاية ، فقلنا : نعم . ثم عادوا يقولون : فينا نبى ينزل عليه الوحى ، والله لا آمنت به أبدا .

إنه الوحى المنزل من السماء ، المشتمل على الروعة والجمال والجلال والبهاء ، وكفاه ذلك فخرا على فخر ، وسناء على سناء .

(٤)

ونتحدث هنا عن الجدة فى الصورة الأدبية القرآنية التى نريد منها الشكل وما يقابل المضمون ، بعد أن تحدثنا عن الجدة فى الصورة الأدبية القرآنية التى يراد منها الجنس الأدبى وطريقة الأداء والمنهج الذى يؤثره المتكلم فى التعبير .

والصورة التى نريد أن نتحدث هنا عنها ، ونريد بها الشكل فى النص القرآنى ، لا يمترى أحد ولا يشك متذوق لبلاغة الكلام في أنها والجدة صنوان ، وفي أنها تعلو ببلاغتها على كل بيان .

تتكون عناصر الصورة من الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، ويضاف إليها مؤثرات يكمل بها الأداء الفنى ، من الإيقاع واللحن للكلمات والعبارات ، ومن الصور والظلال التى يرسمها التعبير ، ثم هناك طريقة تناول الموضوع أى الأسلوب الذى تعرض به التجربة الأدبية .

والصورة المثيرة للالتفات هى القادرة قدرة كاملة على التعبير عن تجارب المتكلم ومشاعره ، والتى تتجمع فيها روعة الخيال والنغم ووحدة العمل

الأدبى ، وتظهر فيها شخصية الأديب وتخيره للألفاظ تخيرا دقيقا .

ويقف البليغ أمام اللفظ طويلا يؤثر لفظة على لفظة ، ويفضل كلمة على كلمة ، ويقول كثير من النقاد : إننا نفكر بالألفاظ ، أى أن الألفاظ هى مظهر إدراكنا الفكرى ، وعمل الأديب تهيئة الجو الفنى للألفاظ لتشع على قارئها وسامعها الظلال والإيقاع وترسم الصور ، وتؤدى المعانى فى رشاقة وحركة وتتابع وعذوبة . نقرأ قوله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة ﴿ والضحى * والليل إذا سجا ﴾ فنجد جوا من الهدوء والطمأنينة والنعمة ، ونقرأ قوله تعالى : ﴿ فأصبح فى المدينة خائفا يترقب ﴾ فنجد كل لفظ فى التعبير قد رسم صورة مذعورة يلتفت فى كل جانب خوفا وطلبا لموضع الأمن ، ونقرأ قوله تعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ فنجد البلاغة فى أرفع منازلها ، ولا تجد لفظا يمثل الجفوة والغلظة ووحشة الطباع مثل هذه اللفظة .. وهكذا نجد ألفاظ القرآن الكريم تمثل المعانى تمثيلا دقيقا رائعا كاملا غير منقوص .

والخيال فى الصورة الأدبية يبدو فى مظاهره العديدة من التشبيه والمجاز والكناية والاستعارة وحسن التعليل .

والإيقاع أو اللحن فى الصورة الأدبية عنصر لا يقل أهمية عن الخيال .

وموهبة البليغ تجعل أسلوبه مملوءا بالحيوية والمتعة والتأثير ، وتجعله لا يقلد أحدا فى لفظه ولا فى عبارته ، وليس الأسلوب حشدا من الألفاظ المرصوصة ، ولكنه تعبير عن تجربة شعورية ، وترتب الكلمات فيه وفق ترتب المعنى فى الذهن .

ومن دلائل بلاغة الكلام أن يراعى فيه مقامات الكلام وأحوال بلاغته ، فتوضع الجزالة فى موضعها ، والرقة والعذوبة فى موضعهما ، ويوضع التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والوصل والفصل ، والإيجاز والإطناب كل فى موضعه ، وبذلك تكمل الصورة ، وترتفع منزلة الأسلوب فى البلاغة ، ومن البدهى أن أبلغ الكلام هو ما لا يلقى فيه بالأحكام الفكرية جزافا ، وإنما يجب أن يصور الأسلوب المراحل المختلفة لانفعال المتكلم وإحساسه بالتجربة الشعورية التى يصورها .

(٥)

والصورة الأدبية بهذا الاصطلاح النقدى كله هو كل شىء فى البلاغة ، أو أهم شىء فيها . ولو أردنا أن نقول إن الصورة الأدبية بهذا المعنى ، وهو ما يرادف الشكل أو النظم أو الأسلوب جاءت على أبلغ ما يكون الأداء فى القرآن الكريم ، وعلى أروع ما يكون التصوير فى أسلوب الذكر الحكيم ، لما أتينا بجديد فى الموضوع .

إن البلاغة القرآنية تحمل عناصر جديدة كل الجدة ، عما ألف العرب فى بلاغاتهم ، وليس معنى ذلك أن القرآن الكريم خرج فى أسلوبه وصوره عن النطاق الذى كان العرب يستعملونه من حيث الذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والقصر ، والوصل والفصل ، والإيجاز والإطناب ، والتشبيه والتمثيل ، والمجاز والإيجاز ، والاستعارة والكناية ، والتمثيل والتعريض ، ولكنه ارتفع بهذه العناصر البلاغية إلى مستوى القمة وحدّ الإعجاز ومنزلة السحر والروعة ، ولو أردنا أن نوازن بين تشبيه قرآنى وبين نظائره من كلام العرب ، لوجدنا البون شاسعا والفرق بعيدا ، ويطول بنا الأمر لو وازنا بين أساليب القرآن وأساليب العرب ، فإن النتيجة التى سنخرج بها من هذه الموازنة هى عظمة القرآن وجلاله وسموه ، وروعة الأسلوب والسحر فيه .

والعناصر الأخرى الجديدة فى الصورة الأدبية القرآنية كثيرة لا يمكن حصرها ، ولا تزال علوم البلاغة والنقد تسير فى طريقها محاولة الكشف عنها ، من مثل الوحدة العضوية فى الصورة الأدبية ، ومن مثل التجربة الأدبية التى يؤديها البليغ ويحملها كلامه ، ومن مثل العاطفة والفكرة والخيال فى الصورة ، ومن مثل النظم والشكل فى النص ، ومن مثل أثر الإلهام أو الصنعة فى الصورة الأدبية ، ومن مثل الرمزية فى الأسلوب أو الفكرة ، ومن مثل الوضوح والجمال والتأثير فى الأسلوب ، وهناك قضايا تناولها النقاد القدامى تتصل بالصورة

الأدبية ، كالرقة والجزالة ، وكالتعريض والكناية ، وكالطباق والمقابلة والتورية ، وغير ذلك .

والعناصر القرآنية للصورة الأدبية فيه تمثل الجدة كل الجدة ، فى كل جوانبها وألوانها ، سواء منها العناصر القديمة التى تدوول استعمالها فى الأسلوب ، أو العناصر الجديدة التى كشف عنها النقاد المحدثون ، أو القضايا البيانية المتصلة بالصورة التى كشف عنها النقاد القدماء ، ولو حاولت أن أبين كل ذلك فسوف أكون كمن يحاول أن ينقل ماء البحر كله فى ساعة أو بعض ساعة ، وكمن يظن أن فى قدرته الإحاطة بكل ما كتبه العلماء والنقاد فى أسرار بلاغة القرآن الكريم وإعجازه .

(٦)

وحسبك أن أسلوب القرآن نمط فريد من البلاغة وسمو الروعة وسمو الروح وجلالها ، ومن إشراق البيان وجمال الديباجة ، وعبقرية التصوير والتعبير .

أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة ، وبين القوة والعذوبة ، وبين حرارة الإيمان وتدفق البيان ، فهو السحر الساحر ، والنور الباهر ، والحق الساطع ، والصدق المبين .

نظم رائع ، وألفاظ عذبة ، وخيال صادق ، وعاطفة حارة ، وفكر رفيع ، تملك على القارئ والسامع لبه ووجدانه ، وعقله وبيانه ، ولما سمعه فصحاء العرب وأرباب البيان والبلاغة فيهم سجدوا له خاشعين ، وما إيمان عمر حين سمع « طه » ، وما فزع عتبة بن ربيعة وقوله « والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر » حين سمع « فصلت » ، وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التى كان يتعبد فيها محمد ليلا ليسمعوا هذه البلاغة الباهرة خفية إلا دليل السحر القرآنى الذى جعل العرب يصفونه متعجبين بقولهم : ﴿ إن هو إلا سحر مبين ﴾ ، وقولهم : ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾ .. السحر القرآنى الذى يتمثل

فيما يتمثل فى صدق الشعور ، وحرارة العاطفة ، وجمال النظم ، وإحكام البيان ، وروعة التصوير .

إى وربى ، وهل تجد أفصح ولا أجزل ولا أسلس من ألفاظه ؟ وهل ترى نظما أحسن تأليفا ، وأشد تشاكلا وروعة من نظمه العجيب ، وأسلوبه الغريب ، الآخذ بمجامع القلوب ، ومشاعر النفوس ؟

إن بلاغة الصورة الأدبية وجدتها فى القرآن الكريم لا يحيط بها وصف واصف ، ولا يستطيع أن يكشف عن خصائصها وأسرار إعجازها باحث أو ناقد .

وحسبك روعة القرآن وجدته وحيويته ، وأخذه بالأفئدة والأسماع والمشاعر والعواطف والنفوس ، وحسبك خلوده على مر الأيام ، واختلاف البيئات والعصور .

هذه البساطة فى الأسلوب ، والوضوح والجمال والدقة والقوة فيها ، والجزالة والعذوبة فى أطرافه ونواحيه ، تمثل فيما تمثل جانبا من جوانب عظمة التصوير فى القرآن الكريم .

وهذا أعرابى سمع قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ فسجد وقال : سجدت لفصاحته . وهذا آخر سمع قوله تعالى : ﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا ﴾ ، فقال : « أشهد أن مخلوقا لا يقدر على هذا الكلام » ..

وماذا نقول فى حسن التأليف ، وتخير الألفاظ ، والتئام الكلمات ، وإحكام الصنعة ، وجودة السبك ، وكمال البيان ، وجمال الرونق ، ومتانة النسج ؟ وماذا نقول فى هذا النظام الفريد ، والنسق الغريب ، وفى هذه النضارة والجلالة ، وفى ذلك الإشراق والبهاء ودقة الصوغ ؟ .

ألفاظ كأنها السحر ، وكأنها الدر ، تشع نورا كما يشع الفجر ، وتهدر حركة وحياة ونموا وتجديدا كما يهدر البحر ، وتهدأ وتعْذب وتسْلس كما تهدأ صفحة النهر .

وصور تموج كما تموج العواصف ، وتتحرك كما تتحرك الأشباح لراكب مسرع فى السير .

وبلاغة هى حديث الأيام ، والتى سلم بها فحول النقاد والبلغاء على توالى الأعوام ، وما هى إلا الضوء السافر ، والهدى الباهر ، والوحى الصادق ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أوَ رأيت وسمعت ما قاله الوليد بن المغيرة ، وقد تردد على الرسول وسمع منه فقال لقومه : « والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى نقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه » .

والسورة القرآنية تطول وقد تقصر ، وهى مع ذلك مسلسلة محكمة متصلة الحلقات ، مشرقة الصور والقسمات والصفحات ، نسق هو السحر ، وتآخ وصفاء وتعاقب فى الترتيب كأنه الوحدة الإلـٰهية التى دعا إليها القرآن ، ممثلة فى كلمات .

المعنى عند العربى كان يتم بتمام الجملة ، وهذه الجملة قصيرة فى نظمهم ، ولكل جملة معنى ، وتتوالى المعانى دون ترتيب ولا نظام ، وجاء القرآن الكريم فصارت الجملة تمثل أرفع المعانى وأدقها ، نظام وتآخ ووحدة تامة بين الجمل بعضها والبعض الآخر ، وقد تطول الجملة القرآنية وتتركب فيها الصور ، وتتوالى المشاهد ، وتتعاقب المعانى ، وقد لا يؤدى المعنى القرآنى آية أو آيات ، بل عشرات الآيات ، ومع ذلك فلن تجد إلا فكرا مهذبا ، ونظاما محكما ، وتصويرا منمنما ، ووشيا منمقا ، وإحكاما فى الصياغة ، ودقة فى الصناعة ، ولن تجد إلا وشيا يبهرك جماله ، ويسحرك جلاله ، ولن تجد إلا العذوبة والرشاقة والسلاسة والوضوح .

والصورة القرآنية تتميز بالحركة ودقة التصوير ، وإبراز معالم المعنى جزءا جزءا، وحركة بعد حركة، وإن شئت فاسمع قوله تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا ﴾ . ولو وقفنا عند هذه الآية الأخيرة ، وهى من سورة الكهف لرأينا فيها هذه الحركة العنيفة المتدافعة ممثلة فى أروع بيان ، وأبسط تعبير ، ولرأينا فيها هذا الإيجاز الرفيع البليغ مع أداء المعنى كاملا غير منقوص ، ولرأينا فيها هذه الصورة البديعة الممثلة لأروع تصوير للغرض المقصود ، الآية ثلاث جمل قصار .

١ — ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ﴾ .
٢ — ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ .
٣ — ﴿ فجمعناهم جمعا ﴾ .

وترى فى الجملة الأولى الحركة والتدافع والاضطراب ، وما يصيب الناس من أثر ذلك من أهوال وعذاب وشدة ، والسر فى ذلك هو كلمة يموج التى أدت لك الصورة كاملة ، والمشهد رائعا ، والمعنى ممثلا أدق تمثيل،وأدت لك الحركة والحياة ، ومشت بك إلى آفاق رحيبة من جلال الأداء وروعة النظم ودقة المعنى وسمو التصوير .

وفى الجملة الثانية لا تجد أبلغ من هذا التمثيل الذى يصور لك قدرة الله معلنة بأروع مظاهر هيمنتها وسيطرتها إلى الناس ، أن قد جاء أمر الله، وأن نهاية الأمر لا بد أن توضع، وأن الناس وهم فى أمر مريج لا بد يستيقظوا لحدث جديد، وامر عتيد، وقدر شديد .

وتجىء الجملة الثالثة تعلن إليك أن الله عز وجل يجمع الناس جميعا إلى ساحته العظيمة ليفصل بينهم يوم القيامة بالحق والميزان، وأن قدرته لا تعجز عن جمعهم مع هول كثرتهم، وشدة شتاتهم، ومن ثم جاء التأكيد بالمصدر « جمعا » ليدلك

على عظمة القدرة ، وروعة المشهد ، وجلال اليد المصرفة لأمر الخلق فى هذا الموقف العصيب .

ولو أن بليغا من أبلغ الناس ، ومن أذكاهم وأحذقهم بصناعة البيان ، حاول أن يؤدى هذا المشهد العظيم ويصوره ، وأن يمثل هذا الحدث الجليل ويرسمه ، لما استطاع أن يقول ، ولما قدر أن يتكلم ، ولما أمكنه أن يؤدى هذا المعنى فى عمقه ودقته بمثل هذا الأسلوب الساحر بجماله وجلاله وروعته .

إى وربى ، إنه القرآن الحكيم ، إنه الذكر المبين ، إنه الجلال والعظمة ، والإيجاز والإعجاز ، وروعة التصوير التى لا تقف عند حد ، ولا تنتهى إلى بيان .

وماذا أقول ، وأنا مهما قلت فلن أقول شيئا ، ولن أبلغ بكلامى مبلغا ما ...

يا كتاب الله ، يا معجزة القرآن ، يا آية البيان ، يا روعة الدهور ، يا عظمة العصور ، يا جلال السماء ، يا حكمة الأنبياء ، يا وحيا نزل على محمد بن عبد الله .. حسبى ، فإن الإنسان لأعجز عن أن يحيط بما احتويت عليه من أسرار البيان ، ودقائق الفرقان ، وروائع التصوير والتبيان ..

القرآن دون سواه .. كتاب الله الخالد المعجز :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ .

إن نظم القرآن الكريم على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام كلام العرب ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ويتميز فى تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد . وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع ، والمعانى اللفظية ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب فى البلاغة ، والتشابه فى البراعة ، على هذا الطول ، وعلى هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها أحيانا الاختلال والاختلاف ، والتعمل والتكلف ، والتجوز والتعسف . وقد جاء القرآن

ـــ على كثرته وطوله ـــ متناسبا فى الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال : ﴿ الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ .. ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ .

وبعد فإنك تجد فى كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك فى منظر بهيج ، ومعرض رشيق ، ونظم أنيق ، غير متعاص على الأسماع ولا ملتو على الأفهام ، ولا مستكره فى اللفظ ، يمر كما يمر النسيم ، ويضئ كما يضئ الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر ، طموح العباب ، جموح على الطارق المنتاب ، كالروح فى البدن ، والنور المسيطر فى الأفق ، والغيث الشامل ، والضياء الباهر . ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

ولقد كانت العرب أمة مفطورة على البلاغة والأدب والشعر تحبها وتعشقها وتجيدها ، وترفع من منزلة الشاعر المفلق والخطيب البليغ وتنوه بهما . وكانت أكثر ما يكون خطيبا وشاعرا وأديبا ، فإذا نبغ فى القبيلة شاعر أو ظهر فيها فصيح ، استبشرت وافتخرت وأقامت الموائد ، واحتفلت بذلك الشىء العظيم ، وأتت القبائل الأخرى فهنأتها وباركت شاعرها أو خطيبها .

كان ذلك فطرتها ، لحياة التأمل والاستغراق والخيال فى الصحراء ، والفراغ الكبير الذى كانوا فيه ، ولحياة البادية التى تثير العاطفة وتستفز المشاعر ، وتلهم الشاعرية ، وتوقظ الخيال والبلاغة ، وكانت حياتهم القبلية مدعاة للتفاخر والتخاصم والحروب المستمرة ، فكانت حاجتها إلى البيان والشعر والشعراء على أشد ما تكون .

ومن ثم فقد رأينا شعراء يلقى إليهم العرب القياد ، يصغون لقولهم ويسيرون وفق رأيهم ، ويمضون ما يحكمون به بينهم . يضعون الشريف النابه ، ويرفعون الخامل الوضيع . فكان امرؤ القيس لشعره الساحر زعيما ، وكان النابغة سفيرا للعرب فى قصور المناذرة والغساسنة ، وحكما بين الشعراء فى سوق عكاظ ،

وكان الأعشى يغير شعره مكانة الناس الاجتماعية بين العرب ، ويفد على كسرى وملوك الحيرة وبنى غسان ، ويسافر إلى الحبشة ، وكان قس بن ساعدة الأيادى الخطيب يفد على قيصر والغسانيين ، إلى ما سوى ذلك من مظاهر تقدير العرب للبلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء .. وبحسبك أن الشاعر كان يعلن الحرب ويضع الهدنة ، فإذا شاء أعلن السلام ودعا إليه .

فلما بعث محمد الرسول الأعظم صلوات الله عليه برسالته إلى الناس كافة ، نزل عليه كتاب مطهر من السماء ، هدى ونور وبشرى ، فيه دعوة إلى التوحيد والطهر والخير والحق ، وفيه ما شاء الله أن يبلغه البشر من شئون الحياة وأخبار الأمم ، وقصص دعاة التوحيد من المرسلين والأنبياء ، وفيه كل ما يسعد الناس فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ، من تشريع وعبادات ، وأخلاق وفضائل ، وآداب ، وتوجيه كامل إلى المثل العليا .

نزل هذا الكتاب الكريم ، والنور الخالد ، والوحى الصادق والدستور العظيم . فكان فى أعلى درجات البلاغة ، ومنازل الفصاحة . لا يدانيه بيان ، ولا يشابهه أو يقاربه ما كان عند العرب من شعر وخطب ، ومحاورات ومفاخرات ومنافرات ، ووصايا ومثل وحكمة وكهانة .

وسمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم فخروا ساجدين لفصاحته ، مذعنين لبلاغته ، مقرين بأنه نسيج وحدة ، وعلم مفرد فى طبقته فى البيان . بهر الشعراء منهم فخرست ألسنتهم وسكتت شاعريتهم ، وضاع إلهامهم كما يضيع السراب فى الصحراء ، وعجبت الخطباء فيهم فخسرت مقاولهم وصمتت ملكاتهم وفقدوا مواهب البلاغة والقول .. وذهبت كل بلاغة فى تياره ، وضلت الفطر الأدبة العالية وفرت أمام أضواء نهاره .

ولكن زعماء الشرك أبوا الإذعان للدين ، والإيمان برسالة سيد المرسلين ، فأخذوا يحاربون الحق بالأوهام ، ويؤلبون قوى الشرك على دعوة الإسلام .. فقالوا فى القرآن الكريم : هو شعر ، هو سحر ، وهى أساطير الأولين ، ولو نشاء

لقلنا مثل هذا ، وإن هذا إلا اختلاق .. ورموا محمدا بالجنون .

فتحداهم الله عز وجل ، ورسوله محمد صلوات الله عليه ، وبهذه المعجزة الظاهرة الخالدة ، بالقرآن الكريم ، والكتاب العربى المبين . قال الله تعالى : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل باسم الله وأن لا إلٰه إلا هو فهل أنتم مسلمون ؟ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ أم يقولون تقوَّله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾(٤) ، فسجل عجز البشر كافة ، وبين أنه لا يستطيع الإنس والجن — ولو تظاهروا — الوقوف أمام هذا التحدى ، ولا يقدرون على مثل هذه البلاغة التى هى فوق طاقتهم ، لأنها بلاغة خالق البشر ومصور الإنس والجن ، الملك القادر والمدبر الحكيم ، الله جل جلاله وعلت قدرته وعظمت حكمته .. ونفى الله عز وجل عنه الشعر والسحر ، وبرأ رسوله من أن يكون شاعرا وساحرا ، ومن الافتراء والجنة ، ومن الكذب والخيال . ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض

---

(١) البقرة : آيتا ٢٣ ، ٢٤ وهما مدنيتان . (٢) هود : آيتا ١٣ ، ١٤ وهما مكيتان .
(٣) الطور : آيتا ٣٣ ، ٣٤ وهما مكيتان . (٤) الإسراء : آية ٨٨ وهى مكية .
(٥) النجم : الآيات ١ — ٤ وهى مكية .

الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين * وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين * وإنه لحق اليقين ﴾(١).

وهكذا رد الله عز وجل عليهم وبين كذبهم وافتراءهم ، ونفى عن القرآن الكريم ما وصفوه به ، وبين أنه منزل من السماء ، وأنه معجزة محمد بن عبد الله الخالدة ، وتحداهم — إن كانوا كافرين وكاذبين ومضللين — إلى الإتيان بمثله ، أو بعشر سور مفتريات من مثله ، أو بسورة واحدة . فعجزوا أمام التحدى ، وباءوا بالخزى والهوان والذلة ، وصغرت نفوسهم وأقدارهم فلم ينطقوا بقول ، ولم يجاروا بلاغة القرآن فى آية أو آيات أو سورة أو سور ، واستمر عجزهم طيلة ثلاث وعشرين سنة ، لا فرق بين خطيبهم وبليغهم وشاعرهم ، ولا فرق بين كبير وصغير فيهم .

ثم امتدت الأجيال وتوالت العصور ، والقرآن يتردد صداه فى المشارق والمغارب فلم تر رجلا وقف يتحدى بلاغة القرآن ، أو يدعى قدرته على مثل هذا البيان ، ولم نر مفكرا يؤلف كتابا أو شاعرا ينظم قصيدة ، أو خطيبا يلقى خطبة ، أو كاتبا يحبر رسائل ومقالات ، ويزعم أحد منهم أن ما جاء به صنو هذه الفصاحة ، أو شبيه ذلك السحر . وفى تاريخ العربية فحول وفحول : كابن المقفع والجاحظ وابن العميد والبديع ، وكجرير والفرزدق وبشار وأبى نواس وأبى تمام والمتنبى والمعرى وشوقى ، ولكن أين بلاغتهم من هذه البلاغة ، وأين منازلهم من هذه المنزلة ؟ وهل منهم إلا من أذعن وبهر ، وخشع وسحر ، وخضع وأخذ ، وأقر أنه وحى من السماء .. وفيها كتب ومؤلفات فى أعلى ذروة البلاغة ، كنهج البلاغة ، ورسائل الجاحظ ، وكليلة ودمنة ، ومقامات البديع ... إلخ ..

ولكن ما هذه وغيرها من المؤلفات ، وما مكانتها وما قيمتها ، وما أثرها

---

(١) الحاقة : الآيات ٤٠ — ٥١ وهى مكية .

وما خطرها فى البلاغة الأدبية، أمام كتاب الله المعجز وكلامه الحكيم؟.. بل أمامك الحديث النبوى الشريف هو فى الدرجة العليا من الفصاحة، ولكن أين يقع نظمه من نظم القرآن، وكيف يوزن حسنه بحسن قدسى البيان.

واقرأ إن شئت بلاغة البلغاء، وفصاحة الفصحاء، ثم انظر بسكون طائر، وخفض جناح، وتفريغ لب، وجمع عقل — فى ذلك، فسيقع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين، وتعلم أن القرآن يخالف نظم كلام الآدميين(١). وأراد مسيلمة الكذاب — فيما يُروى — أن يقول كلاما، فخزى وعجز، وبان عليه العى والحصر، وباء بالخسران وسوء المنقلب، وأين يقع قوله « والليل الدامى، والذئب الهامى، ما قطعت « أسيد » من رطب ولا يابس » .. وقوله: « المبذيات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، إهالة وسمنا، لقد فضلتم أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر »، وغير ذلك من(٢) كلامه، من ذلك السحر والنظم القرآنى العجيب المعجز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد(٣).

وفى الأمم الكبيرة فلاسفة ومفكرون ومشرعون. وأدباء وكتاب وشعراء وخطباء، ولكل منهم كتب وآثار أدبية.

ولكن هل هناك من هذه الآثار ما يعادل فى أثره وخطره ومنزلته القرآن الكريم، بما اشتمل عليه من توجيه صالح كامل للحياة، وتجديد واضح للمثل الإنسانية العليا، ورسم لأهداف الأفراد والجماعات والشعوب، ودعوة إلى الحق والعدل والحرية والإخاء والمساواة المدنية والعلم والعرفان؟ وهل من بينها كتاب يتعبد بـه الملايين من البشر ويقدسونه، ويعدونه دستورهم فى الحياة، يقتبس

(١) إعجاز القرآن للباقلانى، ص ١٢٦، طبعة ١٩٤٨

(٢) راجع طرفا منه فى نفس المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣) فصلت: آية ٤٢

الأدباء والبلغاء والعلماء منه ثروتهم الأدبية والعلمية ؟ وهل من بينها أثر قام به دين ، ونشأت عليه دولة وحضارة استظل العالم برآيتها أجيالا طوالا مثل القرآن الكريم ، والكتاب الحكيم ؟ وهل للقرآن الكريم — بربك — شبيه من الكتب : وحد لغة وحفظها وأذاعها فى العالم ، ورفع شأنها وهذب ألفاظها وأساليبها ، وأحيا فنونا جديدة من الأدب ، وتأثر الناس ببلاغته وسحره ، ووضعت بسببه شتى علوم الدين واللغة والأدب والبلاغة .. كالقرآن الكريم ، وما أحدثه من آثار أدبية وبيانية وفكرية فى لغة العرب ، فوق آثاره فى حياتهم السياسية والاجتماعية والدينية وفى حياة العالم والإنسانية كافة .

ولا يزال البلغاء والنقاد ورجال الأدب والبيان حتى اليوم يؤمنون ، إيمانا صادقا ، بأن لا سبيل إلى الوقوف فى تيار بلاغة القرآن وفصاحته وإعجازه ، وأنه شيء انفرد به وحده ، وأنه كلام الله وكتابه ، وأن نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه إنما بنيت على هذه المعجزة ، وذلك الكتاب الحكيم المبين الذى عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله .. وستمضى وتتوالى الأجيال وهو يضيء كما يضيء الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر ، ويفتن الألباب والعقول بسحره وجلاله وعظمته وحكمته وروعته ، وصدق الله العظيم : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، وذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ ..

المعجزة اللغوية فى الحديث النبوى

كان — ﷺ — أبلغ العرب لسانا وأفصحهم بيانـا ، وأعـذبهم أسلوبـا وأروعهم حكمة ، وأصدقهم قولا وأوضحهم عبارة ، وأطبعهم على البلاغة والفصاحة والبيان . وبلاغته النبوية تلى فى منزلتها الأدبية الذكر الحكيم ، وهى هذه البلاغة الإنسانية التى سجدت الأفكار لآيتها وحسرت العقول دون غايتها ، لم تصنع وهى من الإحكام كأنها مصنوعة ، ولم يتكلف لها وهى عن السهولة بعيدة ممنوعة . إن خرجت فى الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح ، وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح ، فى منزع يلين فينفر بالدموع ، ويشتد فنزو بالدموع ، وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض ، أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء(١) .

ولقد أخذ البلغاء والأدباء والمصاقع بهذه البلاغة الباهرة ، حتى لقد قال للرسول أبو بكر : لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت الذى هو أفصح منك . فمن أدبك ؟ وحتى قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد سمعه يخاطب وفد بنى نهد : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره ، فقال عليه الصلاة والسلام (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) ، ويقول الجاحظ فى بلاغته — ﷺ — :

« كلامه — ﷺ — هو الكلام الذى قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد : ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ » .

وهل تجد أبلغ أو أروع أو أعظم من بلاغتـه ﷺ ؟ فأنت حين تسمع خطبته النبوية الأولى فى أهله وعشيرته لما أنزل الله تعالى قوله الكريم ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ : (إن الرائد. لا يكـذب أهلـه ، والله لو كذبت الناس

---

(١) إعجاز القرآن للرافعى ، ص ٣١٤

ما كذبتكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم . والله الذى لا إلـٰه إلا هو ، إنى لرسول الله إليكم وإلى النـاس كافـة ، والله لتموتـن كما تنامـون ، ولتبعثـن كما تستيقظون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالشر شرا ، وإنها للجنة أبدا أو النار أبدا ، وأنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد) .

لا تجد إلا بلاغة وسحرا ، وجلالا وصدقا ، وحقا وروحة ، وكيف لا وقد أيد الله نبيه الكريم بمعجزة البيان ، فاختاره من قريش أبلغ العرب لسانا ، واصطفاه من أعلى بيوتها حيث البلاغة والفصاحة ، والبيان واللسن ، والحجة والمنطق ، ومقارعة البلغاء ومحاورة الفصحاء . ثم نشأته فى بنى سعد الذين خصوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان ، ولذلك قال — ﷺ — : (أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر) ، ثم علمه لغات جميع قبائل العرب ، وأقدره على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها .

فلا جرم أن يكون المأثور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن ، يقتبس الأديب من لفظه ، وينتفع البليغ بصوغه ، ويستمد مفسر القرآن من أثره ، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه ، ويشيد اللغوى صرحا للغة من كلمة ، ويستظهر الحكيم بحكمته ، إذ كان صلوات الله عليه لا ينطق بلغو ، ولا يقصد إلى غير توضيح قرآن ، وتقرير شرع ، أو هداية إلى الحق ، أو تنفير من الشر ، أو حكمة ينتفع بها الناس فى أمور دينهم ودنياهم .

كان بيانه — صلوات الله عليه — السحر الحلال والضياء اللامع ، يشرق من طبع مهذب مصقول ، وخلق فى البلاغة عريق أصيل ، وفطرة قوية موهوبة تساندت فى بنائها أقوى العوامل ، وتعاونت على إذكائها أبلغ المؤثرات ، إذ نشأ وتقلب فى أفصح القبائل وأصحها لهجة ، وأخلصها منطقا وأعـذبها بيانـا ، وأرهفها جنانا وأقومها سليقة .

كان مولده فى بنى هاشم وهم ذروة قريش سلاسة لسان وسماحة بيان ، وأخواله من بنى زهرة ، ورضاعه فى سعد بن بكر ، ونشأته فى قريش ، وتزوج

خديجة وهى من بنى أسد، وكل هذه القبائل خصها الله بعرق فى فصاحة الكلام عريق، وسبب من أسباب البلاغة وثيق، وكان هذا التوافق العجيب، وهذا التماثل فى الميلاد والاسترضاع والمنشأ إعدادا من الله لنبيه، وتقويما من ملكته، وتهذيبا لسليقته، وتدعيما لفطرته، حتى يفقهوا قوله، ويعقلوا دعوته.

وكان — ﷺ — فصيح المنطق، سمح البيان، سلس الأسلوب، قوى العبارة، لامع الرونق، رائع الحكمة، موفق المثل، مونق اللفظ، مشرق المعنى، يحس المرء لكلامه حلاوة العسل، ويجد فيه لذة، إذا تكلم خفتت الأصوات، وأنصتت الآذان، وخشعت الجوارح، وامتلأت القلوب بجلال العبرة وسمو الموعظة.

وهذه أول خطبة لرسول الله — ﷺ — حين وقف بمكة يدعو قومه إلى الله، يعدهم ويبشرهم، ويحذرهم وينذرهم، ويدعوهم إلى نبذ الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال: (إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم، ولو غررت الناس ما غررتكم، والله الذى لا إلـٰه إلا هو إنى لرسول الله إليكم حقا وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا، وإنها للجنة أبدا أو النار، وإنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد).

فهذه كلمة الخبير بأسرار النفوس الذى يعرف كيف يمتلكها بحكمته، ويستولى عليها بموعظته، ويوجهها إلى الخير الذى يريده، والسعادة الأبدية التى يدعو إليها.

ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله — ﷺ — وسمعته يقول: مات حتف أنفه، وما سمعتها من عربى قبله، يريد مات على فراشه[1] ومثل ذلك قوله — ﷺ —

---

(١) قال فى القاموس وخص الأنف لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه. وقال فى النهاية: كانوا يتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه، فإن جرح خرجت من جراحه.

الآن حمى الوطيس . للدلالة على شدة الحرب ، واستعار نارها ، والتهاب شررها . فإن الوطيس التنور ، ومجتمع النيران ، واستعير لشدة الحرب .

وقوله — ﷺ — بعثت فى نفس الساعة أى قريبا منها ، أحسها كما يحس الإنسان أنفاس من يقاربه .

وإذا كان للعرب تصرف واتساع فى اللغة بالمجاز والاشتقاق وانتزاع لفظ من لفظ ، أو ابتداع معنى من معنى ، أو اختراع فكرة من فكرة ، فإن ذلك كله فى حدود الموجود المتعارف لا يجاوزونه إلى المعدوم ، بخلاف المأثور عنه — ﷺ — فهو كثير من بناء على الموجود واختراع لما لا يوجد ..

ومن ألفاظه ألفاظ كان العرب أنفسهم يسألونه عنها ، ويعجبون لانفراده بها وهم عرب مثله ، كما عجبوا لفصاحته التى اختص بها ، وهو باق بين أظهرهم لم يفارقهم ولم ينتقل عن بلدهم ..

وقد روى عنه — ﷺ — أنه قال لأبى تميمة : إياك والمخيلة !! فقال يا رسول الله : نحن قوم عرب ، فما المخيلة ؟ قال — ﷺ — : سبل الإزار ، أى الكبر .. فقول أبى تميمة نحن قوم عرب دلالة على أن النبى — ﷺ — اخترع هذا اللفظ اختراعا ولم يسبق إليه ..

وقوله — ﷺ — هدنة على دخن ، يريد أن الصلح لم يذهب حفائظ الصدور وأضغان القلوب ، فبقى منها كما يبقى من النار تحت الرماد ، لا يزال يحتفز للاشتعال .

= ويقول مصطفى صادق الرافعى : « إن موت الرجل على فراشه من غير حرب ولا قتال ولا أمر يؤرخ به فى الألسنة مما كانوا يأنفون له . والحتف الهلاك ، فكأن صاحب هذه الميتة إنما ماتت أنفته وكبرياؤه ، فلم يرفع الموت أنفه فى القوم ، بل أذلّه وأرغمه ، فكان به هلاكه ؛ لأن حياته كانت فى عزته ، وعزته كانت فى أنفه ، وأنفه هو الذى كبه على الموت ، وإنما مجاز العبارة كما يقال فى الكبر : ورم أنفه ، وفى العزة : حمِىَ أنفه ، وكما يقال : غضبه على طرف الأنف إذا كان سريع الغضب ، وجعل أنفه فى قفاه إذا ضل » .

وقوله لأنجشة العبد وهو يحدو الإبل ويطرب فى صوته فتسرع الإبل وتتمايل الهوادج بالنساء : (رفقا بالقوارير) .. وقوله (يا خيل الله اركبى)[١] .

وقوله : (لا ينتطح عنزان) ، وقوله : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) قاله لأبى عزة الشاعر ، وكان يحرض عليه ويؤلب الناس ضده ، فأسره يوم بدر ثم من عليه وأطلقه فعاد إلى سيرته ، فأسر يوم أحد وسأل النبى ﷺ فقال له : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) .

وقوله : (إياكم وخضراء الدمن) . قالوا : « وما ذاك يا رسول الله » فقال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، تشبيها لهذه المرأة بالشجرة الناضرة وسط الدمن .

وقوله : (علق سوطك حيث يراه أهلك .. الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم .. وعد المؤمن كأخذ اليد .. قد جدع الحلال أنف الغيرة) .

وقوله : (من اطلع من صير[٢] باب فقد دمر ،) أى فقد دمر ، أى دخل .. قال أبو عبيدة لم يسمع هذا الحرف إلا فى هذا الحديث .

وهذا كله مما كان يشرق فى لغته ويلتمع فى أسلوبه ، من ابتداع المعانى واختراع الألفاظ المناسبة لها ، ومن أوضاع وأخيلة بيانية تلبس حلاها ، وتأخذ زينتها ، وتدعو الأدباء دعوة قوية إلى احتذائها واتباع طرائقها ،واتخاذها مثلا يسيرون على نهجه وينشئون على هداه .

وذلك كله يعتبر إلهاما من الله لنبيه ، وتأيدا بمعجزة البيان ردفت معجزة القرآن ، ولقد كان عجبا من العجب فى أمره — ﷺ — أن ترد إليه وفود العرب فيخاطب كل وفد بما يعد من أسرار لغته وغرائب لهجته . ويخاطبهم بلغاتهم مما تجهله قريش ويجهله بعض العرب عن بعض . ويفهم عنهم كذلك ما يدلون به من كلام ، وما يفصل عنهم من خطاب ، حتى عجب من ذلك على بن أبى طالب حين سمعه يخاطب وفد بنى نهد . فقال : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك

---

(١) المراد بالخيل : الفرسان ، العلاقة المجاورة أو المحلية .

(٢) الصِّير ، بكسر الصاد : الشق .

تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره؟ فقال — ﷺ —: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى).

ومن ذلك كتبه الغريبة التى كان يمليها ويبعث بها إلى قبائل العرب يخاطبهم فيها بلحونهم، ويجارى ألفاظهم وتعابيرهم فيما يريد أن يلقيه إليهم، وهى ألفاظ خاصة بهم ومن يداخلهم ويقاربهم، ولا تجوز فى غير أرضهم، ولا تسير عنهم فيما يسير من اختبارهم، ولا تأتلف مع أوضاع اللغة القرشية.

قال الرافعى: فما تدرى أى ذلك أعجب: أن ينفرد الرسول بمعرفة هذا الغريب من ألسنة العرب دون قومه وغير قومه من ليس ذلك فى لسانهم من غير تعليم ولا تلقين ولا رواية، أو أن يكون قومه من قريش قد ضربوا فى الأرض للتجارة حتى اشتق اسمهم منها وخالطوا العرب وسمعوا مناطيقهم حين يتوافدون إليهم فى موسم الحج، وهم مع ذلك لا يعلمون من هذا الغريب بعض ما يعلمه، ولا يرددونه فى ألسنتهم، ولا يورثونه أعقابهم فيما ينشأون عليه من السماع والمحاكاة، حتى كان هذا الباب فيه — ﷺ — بابا على حدة. وهكذا كان رسول الله ﷺ يتميز بالفطرة القوية، والطبيعة الملهمة، والموهبة البيانية المبدعة، واللسان الذرب، والقول الفحل، والمنطق الفصل، مما لا يفهم سره ولا يعرف أمره إلا على أنه معجزة وإلهام من الله لنبيه ومختاره ومصطفاه.

أما أسلوب الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فهو السهل الممتنع، والبلاغة القريبة البعيدة، والفصاحة المعجزة الرائعة، والنمط الغريب، والطريقة المحكمة، والنظم العجيب. كان رسول الله — ﷺ — يوجز غالبا، ولذلك كانت كلماته حكما وجوامع. وقال: (إنا معشر الأنبياء بكاء)[1]، وكان يكره الفضول والتشدق وخلابة القول وإلباس الباطل ثوب الحق. وربما أطال — صلوات الله عليه — فى كلامه للإرشاد والوعظ وتبليغ الرسالة، وإن كان الغالب

---

(١) أى قليلو الكلام.

أن يقل كلامه ، ويخرج قصدا فى ألفاظه ، محيطا بمعانيه . هذا إلى إحكام الأسلوب فى غير تعقيد ولا تكلف ، مع الوضوح والسلاسة ، ومع التخير والرونق ، ومع العذوبة والجلالة ، ومع الإفراغ الجيد والسبك المحكم ، ومع الجزالة والقوة والإشراق وجودة التصوير والتأثير ، وحسن الإفهام والمهابة والحلاوة والروعة والقبول ، ومع تجنب سجع الكهان ومن شابههم .

وأما ألفاظه — ﷺ — فقد نفى منها الوحشى والغريب والمبتذل والساقط والمستكره ، ونزهت عن الخطأ واللحن والقصور ، واختيرت اختيار الطبع المتمكن والفطرة السليمة ، فهى رشيقة جليلة ، قوية بليغة ، مشرقة عذبة ، تنطق عن سلامة الملكة وقوتها .

وأما معانيه صلوات الله عليه فهى الحكمة الصادقة والأدب الرفيع ، والحق المنزه عن الريب ، والهدى والنور ، والرأى الناضج والبصيرة النافذة ، والإلهام الذى وهبه الله إياه .

(د) وأما موضوع حديثه وكلامه صلوات الله عليه فهو :

١ — تبليغ الدعوة وتأييد الرسالة ، والدعوة إلى الدين الحق الخالد الذى لا ريب فيه .

٢ — شرح القرآن والإرشاد إلى أحكامه وعبره وعظاته .

٣ — تشريع النظم الاجتماعية والسياسية والعبادات الدينية لخير الفرد والمجتمع والأمة والإنسانية .

٤ — النعى على المشركين وتقبيح ما هم فيه من عناد وضلال وبهتان ، وتوجيه عقولهم وألبابهم بأبلغ بيان وأقوم حجة إلى الدين والحجة الواضحة .

٥ — تقرير الإيمان بالأنبياء والمرسلين والملائكة واليوم الآخر .

إلى غير ذلك من شتى الموضوعات النبيلة ، والأغراض السامية ، التى دعا إليها الرسول الكريم ، والتى هى من خصائص بلاغته — ﷺ .

ولا بدع فى كل ذلك ، فميلاده — ﷺ — فى بلاد العرب ونشأته فى مكة ،

وانحداره من قريش أبلغ العرب وأفصحهم، وتربيته فى بنى سعد، ومخالطته العرب فى مواسم الحج ورحلات التجارة، وتمكن البلاغة والطبع والملكة من نفسه، والمواقف الفذة الخالدة التى شهدها الرسول — ﷺ — من الحرب، ومشاهدة الدعوة والغزوات والخطابة فى الوفود وفى أنصار الرسالة، وإلمامه بلغات العرب ولهجاتهم، إلى غير ذلك كله، كان من بواعث البلاغة وأسباب الفصاحة فى نفسه وحياته صلوات الله عليه.

ويقول الزيات فى البلاغة النبوية(١): إن بلاغة الرسول من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن قياسه، فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشاءه وإنما نعلم خبره. هل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة، وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة، وهل يجد فى نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلال والروعة؟ إن البلاغة النبوية هى المثل الأعلى للبلاغة العربية. وإذا كان كلام الله كتاب البيان المعجز، فإن كلام الرسول سنة هذا البيان، وإذا كان البلاغ صفة كل رسول، فإن البلاغة صفة محمد وحده.

وأثر الحديث النبوى فى الأدب العربى يمكننا تلخيصه فيما يلى:

ولقد أثر الحديث النبوى الشريف فى الألفاظ والأساليب:

١ — زاد الحديث النبوى ألفاظا جديدة، كتسميته: « صفر الأول » محرما، وكلفظ الزمارة للزانية، التى وردت فى حديث أبى هريرة: (إن النبى نهى عن كسب الزمارة)، وكلمة الصير بمعنى الشق فى قوله — ﷺ — (من اطلع من صير باب فقد دمر).

وللحديث الشريف أثر فى توسيع معانى بعض الألفاظ واشتقاق أخرى، مما لا داعى للإفاضة فيه..

---

(١) وحى الرسالة، ٣ : ٧٩

٢ — ساعد الحديث الشريف على تهذيب الألسنة، وتثقيف الطباع، وللقضاء على الحوشية والغرابة والمعاظلة والتعقيد فى البيان، وأحل محل ذلك السلاسة والسهولة والرونق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان.

٣ — قضى على سجع الكهان، ورفع منزلة النثر.

٤ — زاد كثيرا من الأساليب البليغة فى الأدب العربى.

كما أثر فى المعانى تأثيرا كبيرا.

وق أثر الحديث فى معانى الأدب والأدباء والشعراء وأخيلتهم تأثيرا كبيرا، فنضجت بسببه معانيهم، ودقت أفكارهم، وحصفت آراؤهم، وأصبحت كذلك يسودها الإحكام والترتيب، ويغلب عليها السمو والطهر والنزوع إلى المثل العليا والمبادئ الشريفة.

هذا إلى أثره فى أغراض الأدب:

١ — وقد أثرت البلاغة النبوية فى أغراض الأدب العربى تأثيرا كبيرا فهجر بسببها الهجاء الكاذب، والفخر المبالغ فيه، والهجاء الماجن، والدعوة الجاهلية إلى الانتقام والأخذ بالثأر وإثارة العصبية.

٢ — وأصبحت أغراض الأدب تحتذى البلاغة النبوية فى أغراضها، فلا يقول الأديب ولا ينظم الشاعر إلا فى الدعوة إلى الخير والحق والإسلام، وفى تأييد العقيدة الإسلامية، وفى كل شريف من الأغراض، وكريم من الموضوعات.

٣ — وصار الحديث النبوى كذلك محورا لعلوم دينية وعربية كثيرة، وضعت لدراسة الحديث.

٤ — كما ساعد الحديث النبوى على توحيد لهجات العربية، وعلى ذيوعها وخلودها، فهو متمم للقرآن الكريم فى هذا الميدان..

خاتمة الكتاب

حمدا لله وشكرا وثناء جميلا هذا هو كتابنا « الرد على البهائيين فى ضوء المنهج اللغوى »، والذى احتوى على دراسات منهجية موضوعية تفضح المذهب البهائى ودعاته الذين رفعوا أنفسهم إلى مصاف الألوهية، وجعلوا رسالة نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام دون رسالة البهائى حسين بن على، وجعلوا رسالة البهائى هى الخاتمة لا رسالة محمد بن عبد الله.

إن البهائية أخطر مذهب موجه بأيدى الاستعمار والصهيونية والماسونية والقوى الخفية، لمحاربة الإسلام فى العصر الحديث.

وحسبنا أن نقدم هذا الكتاب إلى الشباب الإسلامى، وإلى المثقفين المسلمين، ردا على افتراءات البهائيين، وتفنيدا لمزاعمهم الباطلة، وأكاذيبهم المضللة، وافتراءاتهم الزائفة على الإسلام ونبى الإسلام العظيم.

صلى الله على محمد وعلى آله فى الأولين، وصلى الله وسلم على محمد وآله فى الآخرين، وصلى وسلم عليه دائما وأبدا إلى يوم الدين.

وما توفيقنا إلا بالله ؟

عبد العزيز شرف ــ محمد عبد المنعم خفاجى

رقم الإيداع : ٢٦٣١ / ٨٦
الترقيم الدولى : ٥ ــ ٠٢١٢ ــ ١١ ــ ٩٧٧





دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ١٠٠ قرش